

alexandra.ahlamontada.com

مقدمى مكتبة الإسكندرية

المُضَانُون و المُضَابِرَات

طاهر البهى



علاقات مثيرة ونهايات غامضة

الفنانون والمخابرات

تأليف

طاهر البهى

إهداء

إلى ابنتي..

سلمى وشروق..

الأمل والمعنى الذي أستمد منه

طاقة (نور) لعله يدفعني إلى الأمام

ولو خطوة في طريق قل من يحمل

فيه القناديل.

طاهر....

فهرس الكتاب

الإهداء	٣
قبل أن تقرأ	٤
الفصل الأول: الفن فى خدمة السلطة	١٨
الفصل الثانى: أسمهان لغز الأميرة والملك	٣٤
الفصل الثالث: كاميليا بين السينما والتجسس	٥٤
الفصل الرابع: برلنتى عبد الحميد والزواج من المشير	٧٥
الفصل الخامس: ميادة الحناوى: غيرة أم تجسس!؟	٩٢
الفصل السادس: عبد الحليم حافظ.. ماذا أعطته السلطة!؟	١٠٨
الفصل السابع: مواجهة ساخنة بين المشير وحليم	١٢٥
الفصل الثامن: العنذليب والمخابرات	١٣٧
الفصل التاسع: ميم واللعبة مستمرة	١٤٥
الفصل العاشر: كنترول النجمة (س)	١٥١
البوم الصور:	١٦٠
الفصل الحادى عشر: سعاد حسنى والسؤال المحير هل قتلها	
الموساد!؟	١٧٦
الفصل الثانى عشر: عملية سمير الأسكندرانى	٢٠٢
الفصل الثالث عشر: مريم فخر الدين هل هزمت صلاح نصر!؟	٢١٥
الفصل الرابع عشر: السينما و.. الثورة.. أفلام "مع" .. أفلام "ضد"	٢٣٢
الفصل الخامس عشر: فرانك سيناترا: الفن والمافيا	٢٤٩
الفصل السادس عشر: مارلين مونرو.. واللعب مع الرئيس!	٢٦٩

قبل أن تقرأ

الفنان بتكوينه وبطبيعته يسعى دائماً إلى القمة والقمة
فى الفن - كما فى الحياة - هى قمة معنوية ليس لها آخر،
فكلما صعد إلى درجة، أدرك أن هناك درجة أعلى لم يصل
إليها.

ولذلك فالفنان هو فى حالة سعى دائم، وسفر، وبحث
عن المجهول.. وهو يظل كذلك حتى يتوقف بفعل الزمن أو
يسقط.. بفعل فاعل!!

وعندما تتداخل دائرة الفن مع دوائر السياسة
والسلطة، يكون الطموح هو مركز إحدى هذه الدوائر، ولكن
للأسف فإن النتيجة التى نراها من هذا التداخل، هى
(احتراق) الفنان بفعل لهيب السياسة، فلا هو نجح فى تحقيق
طموحه فى الشهرة والنجومية، ولا هو تخلص من السهام
الطائشة التى تصوب إليها كما دار حديثاً فى الفن أو فى
السياسة!

وبعض أبطال حكايات هذا الكتاب من الفنانين
والفانات، اقتربوا من السلطة، فاكتوا بنيرانها، إما لأنهم لم

يدركوا حجم المخاطرة التى أقبلوا عليها، أو لأن روح المغامرة قادتهم إلى بلاط السلطة فجرفتهم بعيداً عن فنهم وجمهورهم - ولو لفترة كما فى بعض الحالات - ونخلص إلى أن الفنان (فنان) يعبر عن آمال وأحلام جمهوره وإن اضطر للتعبير عن أفكار السلطة، فإن ذلك يجب أن يكون وفق ما ارتضاه الشعب. كل الشعب، والخطر - كل الخطر - أن يلعب الفنان مع السلطة.. مع الكبار! وعالم المخابرات ملئ بالأسرار والحكايات التى تفوق الأساطير رغم أن ما وصلنا منها ليس إلا أقل القليل مما سمحت به الظروف أو الصدف، ومع الأسف فإن بعض الفنانين تم تجنيدهم تحت إغراءات معينة معظمها تدور حول مزيد من الشهرة والنجومية، أو بعد النفاذ إليهم من نقاط ضعف خاصة بهؤلاء الفنانين، والمؤسف أن أكثر هؤلاء كانوا من النساء المنتميات إلى الفن، ورغم عددهن القليل إلا أن حكاياتهن ذاعت وانتشرت، والواقع أن استخدام المرأة وتأثيراتها العاطفية على الرجل ليس بمستحدث فى أعمال المخابرات والتجسس فى جميع أنحاء العالم، منذ القدم وفى التاريخ المعاصر.

ويعطى صلاح نصر رجل المخابرات المعروف
مثلين لذلك، الأول عملية أطلقت عليها عملية لويس الرابع
عشر - ملك فرنسا - وعشيقة شارل الثانى ملك إنجلترا، أما
بطلة العملية فهي "لويز كورباللى".

وتبدأ الحكاية عندما ظهرت "لويز" على مسرح
الأحداث، واستخدمها لويس بارسالها إلى شارل، الذى كان
يعانى من إفلاس خزينته، وعندما وصلت "لويز" إلى سرير
ملك إنجلترا، أقنعتَه فى نفس اللحظة بالتوقيع على معاهدة
"دوفر" السرية التى تنص على انسحابه من الحلف الثلاثى
ضد فرنسا، وكان ذلك مقابل ثلاثة ملايين من الفرنكات تنقذه
من الإفلاس و... بضعة قبلات وأحضان دافئة يقاوم بها
برودة خواءه العاطفى!

المثل الثانى الذى يذكره صلاح نصر لاستخدام
العواطف فى أعمال المخابرات، هو مثل من مصر، وبطل
هذه الواقعة هو ضابط المخابرات البريطانى الشهير "لورنس
العرب" الذى جاء إلى مصر والتقى بالعميلة "مرجريت
داندريان" ونجح فى تجنيدها أثناء حفل أقيم فى فندق شبرد
(القديم)، وكانت مرجريت من النشاط بحيث نجحت فى

اختراق عدد من الأسماء فى مصر، مستغلة أنوثتها الطاغية،
وخلاعتها المتعمدة، وأحضانها المعروضة للبيع بدون مقابل
- ظاهريا - إلا مقابل الثثرة فى التفاصيل الدقيقة المسلوقة
من أفواه مصادرها بنعومة تشبه نعومة يد السارق الذى
يسلبك أموالك دون أن تشعر بوجوده أصلا.

وعن طريق الأخبار الخطيرة التى جمعتها الجاسوسة
الحسنة المثيرة، هاجم البريطانيون - إيان احتلالهم المشتون
لمصر - فيلا فى أطراف مدينة بورسعيد المصرية عثروا
بها على مستودع ضخم من الأسلحة والوثائق الخاصة
بمنطقة سرية مصرية، كانت قد أعدت خطة سرية لسد قناة
السويس فى نقاط استراتيجية.. وأجهض هذا الحادث آمال
الوطنيين المصريين فى فترة ساخنة من المواجهة مع
الاحتلال البريطانى، لعب فيه سلاح الأنثى دورا كبيرا!

ولذلك تأتى هذه العبارة "الصدمة" على لسان صلاح
نصر الرجل الذى أسس جهاز المخابرات العامة فى مصر،
وقاده فى فترة من أشد الفترات سخونة وهى الفترة التى لاقت
بعد ذلك ما لاقت من هجوم وانتقاد عنيف ومحاكمة لعلها

ما زالت قائمة حتى الآن.. يقول صلاح نصر فى كتاب عبد
الله إمام "الثورة.. المخابرات. النكسة" (دار الخيال).
"نجحت بعض النساء العميلات لنا فى الكشف عن
قضايا تخابر لم يكن فى استطاعة الرجال أن يصلوا إليها".
إن هذه الجملة - على قصرها وقلة عدد كلماتها
تحمل تكثيفاً لكثير من المعانى، واختزالاً لعشرات الأسئلة:
لماذا المرأة دون الرجل، ما هى نوعية هؤلاء النسوة، ما هى
صفتاهن، ما هى نوع القضايا التى نجحن فيها وتوفقن فيها
على الرجال، ثم - ولعله الأهم - وإذا قدمن فى سبيل، إنجاح
أعمالهن المثيرة، وأيضاً ماذا أخذن!!!

* * *

إن المرأة التى خلقت رقيقة، ضعيفة - فيما يبدو -
تحمل سلاحاً فتاكاً، تشهره متى أرادت، وكيفما شاءت،
فبعضهن يستخدمنه احتواءً للزوج - وهو حق مشروع على
أية حال - فى حين أن الأخريات استخدمته فى الحصول
على مكاسب من مال أو سلطة وبطريقة غير مشروعة
بالطبع، وهن مسئولات عن الاستخدام الخاطئ لهذا السلاح
الفتاك - العواطف - ولا يلو من إلا أنفسهم إذا ما صدقنا -

شهادة صلاح نصر على هؤلاء النسوة، فهو يقول بالحرف
"ونحن لا نرغم النساء على أى شئ مهما كانت النتائج!"
إذا كان هذا هو الحكم على النساء العاديات، تقصد
غير المشهورات، اللاتي لا يمتحن مهنة يتربحن منها،
وليست لديهن موهبة ما يقضين الوقت فى إشباعها، وبالمرة
تدر عليهن مالاً ينفق منه على احتياجاتهن المختلفة، فما بال
الأمر بالنسبة لفنانات معروفات كن ملء السمع والبصر،
تتهافت عليهن العدسات وفلاشات التصوير، ما الذى جعل
أقدامهن تنزلق إلى الهاوية، هاوية الأعمال الخطرة التى
تتطلب منهن تضحيات ليست بالقليلة، ولا بالهينة، هل أردن
بذلك الانشغال فى أعمال مثيرة دفعتهن إلى ذلك أن حياتهن
قائمة أساساً على الإثارة المستمرة؟
أم أردن الحصول على مزيد من المال، رغم أن
للمال طرق أخرى أكثر أمناً وهن أدري بها؟
أم أردن "سلطة" أو بالأحرى التقرب من السلطة،
وبالتالى إتاحة الفرصة أمامهن للقيام بأعمال الوساطة،
و"التخليصات" والسمرة! أم أن أحداً قد دفعهن عامداً متعمداً
إلى الهاوية؟!

إن صلاح نصر رجل المخابرات المتهم باستخدام
الفنانات في أعمال المخابرات "ضمن استخدامه للنساء بصفة
عامة" يقول عندما سُئل:

- هل استخدمتم الفنانات؟ فإنه يرد دون تردد:

- عدد محدود.. لا يكاد يعد على أصابع اليد!!

وحسناً قال أن عددهن محدوداً، فالغالبية العظمى من
الفنانيين والفنانات المصريين يربأون بأنفسهم من أعمال بعيدة
عن تخصصهم ومواهبهم التي أعطاها لهم الله لإسعاد الناس
وتوعيتهم عن طريق الرسالة التي يحملونها فى أعناقهم..
ولكن تعالوا نقرأ إجابات صلاح نصر على أسئلة عبد الله
إمام:

* هل كان ذلك بالضغط عليهن؟

- اللاتى تعاون معنا من الفنانات، رحبن فوراً
بالعمل معنا، ولكل واحدة منهن (ملف) موقع بإمضائها
برغبتها، وكل واحدة من اللاتى تعاون معنا حصات على
أجر عما قامت به كاملاً. (إذا فالمال كان جزءاً مهماً فى هذا
العمل!).

وبعض اللاتى يتشدقن الآن بالعفة، كانت تأخذ أجرها
عن كل عملية تقوم بها!!

وفى موضع آخر يقول صلاح نصر: إن العلاقة بين
رجل المخابرات والعميل هى علاقة سيد ومسود، الأول يدفع
ويأمر والثانى يأخذ وينفذ..

هذا عن المال، فهل هناك شئ آخر؟ يقول صلاح
نصر فى معرض حديثه عمّ يسمى بأعمال السيطرة على
العميل بصفة عامة:

لأن المرأة أكثر تقلبا من الرجل، كان تصويرها
ضروريا للسيطرة عليها عند اللزوم.

فهل تم استخدام هذا النوع من أعمال السيطرة
(التصوير فى أوضاع مخلة) مع فنانات، هل كن يقمن
بأعمال من هذا النوع المتدنى؟

الأوراق "الجادة" فى هذا الموضوع - وهى قليلة -
لا تؤكد ولا تنفى، رغم وجود العديد من الأوراق الصفراء
التي تذكر تفاصيل مهينة فى هذا الإطار، مع تأييدنا الشديد
على أن عدد الفنانات اللاتى استخدمن فى أعمال المخابرات

عددهن قليل ولا يكاد يعد على أصابع اليد (كما اعترف مدير جهاز المخابرات صلاح نصر بنفسه).

* * *

وإذا كان الأمر كذلك بعد إنشاء جهاز المخابرات العامة فى مصر، فإن استخدام الفئات لم يكن شيئاً من اختراع الجهاز ولا من متطلبات تلك المرحلة، فقد سبق ذلك حكايتين لفائتين مشهورتين الأولى هى "ليليان ليفى كوهين" التى اشتهرت فى مصر باسم "كاميليا" وقصة علاقتها بالملك فاروق الأول ملك مصر، الذى يمثل السلطة فى أعلى مستوياتها وقتها، وكذلك ما قيل عن تورطها مع نجمة الأغاز الأميرة "أسمهان" - آمال الأطرش - التى جذبها ضوء السلطة فحامت من حوله كفراشة ملونة، هائمة، حتى احترقت من شدة الاقتراب، واختلف الناس فى حل لغز وفاتها المفاجئ - فى حادث سيارة - هل هى منافستها أم كلثوم، أم هو الملك فاروق نفسه انتقاماً من ترديدها لفضائح أمه الملكة نازلى، أم هو طليقها الأمير الدرزي، أم الإنجليز، أم الفرنسيون فى حين أشار البعض إلى الألمان بأصابع الاتهام.. كل هؤلاء تقرق بينهم دم أسمهان، الأميرة

المغامرة، التى كان ينتظرها فى الفن مستقبل رحب، وراحت
تجرى وراء أوهام السلطة وجو المخابرات المثير، فانتهدت
هذه النهاية المأساوية السريعة دون أن يطول استمتاعها
باللعبة الخطرة.

* * *

مع ملاحظة أن الفنان (الرجل) لم يكن بعيداً عن لعبة
السلطة والمخابرات!

وفى السينما العالمية كانت ملكة الإغراء المتوجة
مارلين مونرو نموذجاً مجسداً لاحتراق الفنان عندما يتخطى
الخطوط الحمراء، إن مارلين كانت قد وضعت نهايتها بنفسها
عندما أخرجت ذات يوم مفكرتها الحمراء وبها مجموعة من
الأسرار الدقيقة سجلتها بعد لقاءات متعددة لها مع الرئيس
الأمريكى جون كيندى وشقيقه المدعى العام قاتلة: إنها
ستدعو إلى مؤتمر صحفى عالمى تعلن فيه هذه الأسرار قاتلة
فى تحد: إن لديها الكثير لتقوله!

فهل ما حدث لها بعد ذلك من موت مفاجئ
دراماتيكي سبقه مراقبة دقيقة ومحكمة خشية أن تقوم على
إفشاء هذه الأسرار الدقيقة.. فهل هناك ربط بين الأحداث؟

* * *

وفي مصر...

ما قصة السيدة "نون"، وهي سيدة من الوسط الفني
اشتهرت بارتباط اسمها باسم شخصية سياسية قيادية كبيرة،
وكيف قيل إنها وقعت إقراراً بنفسها - على نفسها - عام
١٩٦٠ لتصبح مندوبة للمخابرات حتى قيل إنها اشتهرت
بذلك في الوسط الفني، وانتهى بها الأمر إلى الزواج العرفي
من الشخصية السياسية، وهي نتيجة لم تصل إليها فنانة
أخرى فيما يبدو.

* * *

ولكن يبقى هناك من الفنانين من جاعتهم الفرصة، إلا
أنهم لفظوها، البعض رفضها لأن العرض كان ضد مبادئه
وضد الأخلاق المهنية كحالة الفنان الكبير يوسف وهبي الذي
طارده المافيا الإيطالية، ورفضها البعض الآخر إيماناً منه
بقوميته وبمصريته ووطنيته، كما في حالة الفنان سمير
الإسكندراني الذي ظنت فيه "الموساد" صيداً سهلاً، وحاولت
تجنيدته أثناء إقامته في إيطاليا، فكشفهم ولطمهم لطمه شديدة
أضيفت إلى صفعات سابقة ولاحقة.

وهذا الكتاب ليس موضوعه البحث فى ملفات
المخابرات، وإن كان يتعرض لذلك فى جوء منه، وإنما هدف
البحث فى علاقات الفنانين بالسلطة التى يبدو أنها كانت حلاً
وغاية لدى عدد كبير منهم، باعتبارها جزءاً من "الهالة" التى
يحب النجوم - فى الغالب - أن يحيطوا أنفسهم بها، ووسيلة
لاكتساب بعض النفوذ تفيد بعضهم بالطبع فى فرض سطوتهم
ونجوميتهم على الوسطين الفنى والاجتماعى.

ولعل ما سبق هو الذى أوقع بعدد من مشاهير الفن
فى شباك المخابرات، ولم يكن صعباً تجنيدهم، أو تجنيدهن،
للقيام بأعمال جمع المعلومات بأية وسيلة!

صحيح أن هذه المعلومات كانت تقدم لمصلحة أمن
الدولة فى بعض الحالات وصحيح أن جهاز المخابرات
العامة المصرى على سبيل المثال كان يسعى للاستفادة من
كثير من هذه المهام، وقام بناء على جزء منها بأعمال
بطولية أذهلت العالم، ولكن الصحيح أيضاً أن الفنان كان
يلعب فى غير ملعبه، وأنه استخدم استخداماً ينافى طبيعة
الخدمة التى يقدمها للناس، وبعيد كل البعد عن جو الإبداع
الفنى الذى تقدم بأوراق اعتماده من خلاله إلى الناس.

ولا يستطيع أحد أن ينكر مثل هذه المشاركات، فقد اعترف بها كل أطرافها، لدرجة أن المهندس حلمى السعيد، وهو الرجل الذى كان مستشارا للزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى الاقتصاد والتخطيط وقبلها أحد ضباط يوليو الأحرار (١٩٥٢) والذى أوكل إليه جمال عبد الناصر بالتحقيق فى القضية التى اصطلح على تسميتها انحراف جهاز المخابرات العامة" التى كان على رأسها مؤسس الجهاز صلاح نصر، لقد ذكر الرجل فى مذكراته أنه تم استدعاء (٤٤) سيدة وفنانة فى التحقيق الذى بدأ فى الساعة الثامنة مساء يوم (٢٨) أغسطس عام ١٩٦٧ وانتهى فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ١٤ أكتوبر من العام نفسه.

ونحن نعتزف بأننا ليس بإمكاننا أن نحصى (كل) الحالات التى تعمل فيها الفنانون مع أجهزة المخابرات، ففي كل يوم نتكشف لنا فصول جديدة فى هذا السياق يكشف عنها الستار للمرة الأولى، ولعلنى قنبلة الأيام القادمة ستبرز فى كشف بعض الفنانين عن حكايتهم المثيرة مع المخابرات (السلطة) وكيفية لعبهم مع الكبار، وقد كشف مؤخراً فناناً جميلاً لعب أدوار الفتى الأولى فى عدة أفلام جميلة من زمن

الأبيض والأسود ولكنه فى ذات الوقت كان يلعب لعبة أشد
خطراً وإثارة هى لعب المخابرات... الفنان هو إيهاب نافع
اعترف بلعبته المثيرة، وأن كان لعبها لمصلحة الوطن..
وسنتنظر حتى يدلى الفنان إيهاب نافع بشهادته كاملة ثم يكون
لنا بعدها حق التحليل والتعليق.. ومازلنا ننتظر أن يخرج
الكثيرين عن صمتهم.

ودعونا نتعرف على الحكايات من أولها.

طاهر البهى

مدينة نص - يوليو ٢٠٠٣

talbahey@yahoo.co
m



الفن فى خدمة السلطة

”لحق فإن الفن والفنان المصرى قد لعبا دوراً
إيجابياً للغاية فى خدمة القضايا الوطنية فى
مصر، ويشهد المراقبون المحايدون بأن هذا
الدور الذى لعبه الفن والفنان كان بعيداً عن
أية متاجرة أو مزايدة ولا يهدف إلى التقرب
من السلطة...“

"مهما حاولنا أن نتخيل إلى أى مدى استفادت الثورة المصرية من الفن، فإننا لن نصل إلى تحديد لدرجة هذه الاستفادة بدقة! فقد لعبت الفنون على اختلاف أنواعها: سينما، مسرح وأغنية، دوراً خطيراً فى الترويج لقيم ومبادئ الثورة الجديدة، وكانت الثورة من الذكاء بحيث عرفت حجم هذا التأثير من جانب الفن على الجماهير، فراحت تمد يدها لخلق نوع من التعاون المشترك "المثمر" بينها وبين أنواع الفنون المختلفة".

ففى الغناء كان صوت عبد الحليم حافظ، ذلك الموهوب العبقري، هو المتحدث الرسمي - أو كاد أن يكون - وبأفكار العباقرة صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودى وغيرهما، وألحان المبدعين كمال الطويل والموجى وبلبل حمدي، لدرجة أن حدثاً خطيراً وجليلاً مثل تأميم قناة السويس، تعيشه الأجيال الحالية بصوت "حليم" وتتفاعل معه أكثر من تفاعلها به من خلال صفحات كتب التاريخ، أو بعبارة أخرى، أن صوت حليم وصل أسرع وأبسط من

أصوات المؤرخين: "صرخة أطلقها جمال.. إحنا أممنا القتال" .. فيتهال الناس فرحاً وراحوا يغنون لزعيمهم خلف مطربهم: "ضربة كانت من معلم.. خلت لاستعمار يسلم.." ونلاحظ أنه إذا كان "حليم" هو نجم هذه المرحلة بغير منازع، فإن أستاذه محمد عبد الوهاب قد مجد أشخاصاً أكثر من تمجيده لمرحلة بعينها، حتى أنه سمي "مطرب الأمراء والملوك" وإن كان لعب الدور نفسه بعد الثورة وقد فطنت الثورة، وبخاصة زعيمها الحقيقي جمال عبد الناصر إلى أهمية الدور الذي يلعبه فن الغناء، فتم - بشكل أو بآخر - تقوية صوت حليم ومساندته باعتباره يمثل هو نفسه نموذجاً لمن جاءت الثورة من أجله، شاب فقير، ضعيف، لا سند له، لا يملك إلا موهبته، فكانت الثورة بديلاً عن الأب الذي فقده قبل أن يرى كلاهما الآخر. كما نعرف جميعاً الدور الذي لعبته السيدة أم كلثوم - كوكب الشرق - في دعم قضية بلدها أثناء "المجهور الحربى" وكان ذلك أيضاً هو دعم للسلطة الوطنية الموجودة وقتها، ولقد قال لى السيد محمد الدسوقي ابن شقيقة السيدة أم كلثوم والذي لازمها كظلها طوال ربع قرن من مجدها: إن ناصر كان دائم التردد على أم كلثوم

وكان يأتس بالحوار معها، كما يؤكد على العلاقة القوية بينهما.

وفى المسرح كان هناك مسرح المبدع الكبير الراحل سعد الدين وهبة، نعمان عاشور، توفيق الحكيم والفريد فرج، ومعهم نجوم ونجمات المسرح المصرى الذين ساهموا فى تشكيل وعى الجمهور المصرى فى عهده الجديد، ونستطيع أن نؤكد على أن الفنون قد استفادت بنفس القدر من الثورة، فأصبح هناك رعاية أكبر لها من قبل الدولة ومؤسساتها، فنضجت الفنون وتألقت وأينعت، وأصبحت فنون الستينات هى النموذج الذى نسعى لإحيائه محل معظم فنون التسعينات اتسمت فى معظمها بالتدنى.

كما لم تكن السينما بعيدة عن التأثير والتأثر بالثورة، بل كان النموذج هنا أوضح، باعتبار السينما هى ذاكرة الأمة ومرآتها، وهى الأكثر مقدرة على التأثير فى الشعوب، فحدث أن اهتمت الثورة بالسينما منذ اللحظات الأولى ففى الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٥٢، وبعد أيام من قيام الثورة المصرية، أصدر السيد محمد نجيب المسئول الأول عن الثورة وقتها، بياناً للسينمائيين كان عنوانه "الفن الذى نريده"

جاء فيه "إن السينما وسيلة من وسائل التثقيف والترفيه،
وعلىنا أن ندرك ذلك لأنه إذا ما أسئ استخدامها، فإننا
سنهوى بأنفسنا إلى الحضيض، وندفع بالشباب إلى الهاوية".
وكان ذلك اعترافاً من الثورة بأهمية الفن (السينما)
فى الارتقاء بالشعب وخاصة الشباب منهم، ولذلك فقد كان
هذا بمثابة إعلان رسمى باحتضان الثورة لفن السينما، حتى
أنه جاء فى البيان السابق الإشارة إليه صراحةً أن: "السينما
لها مكانتها عند النظام الجديد". وكان أيضاً انتظاراً وترقباً
لأن تعلن السينما ولاءها ودعمها للنظام إذا ما كانت تؤمن
بمبادئه. ويبدو أن السينما قد استقبلت الرسالة بوعى وبفهم
لطبيعة دورها، ففى ذكاء وسرعة شديدين، بدأ السينمائيون
يتسابقون بالمشاركة فى دعم وتأييد النظام الجديد وما يحمله
من أفكار عن العدالة والحرية. ولذلك نجد اللواء محمد نجيب
يسارع بإصدار بيان جديد فى يناير من العام التالى مباشرة
١٩٥٣، أى بعد خمسة أشهر من بيانه الأول يقول فيه
بالحرف الواحد: "لقد استيقظت المعانى فى نفوس الفنانين،
فأدركوا واجبهم، ووقفوا جميعاً فى صفوف النهضة يساهمون
فى تشكيل البناء الجديد... بناء النهضة".

وبالتالى لم يكن مستغرباً أن تشكل الثورة لجنة رأسها
المرحوم وجيه أباظة، كانت مهمتها ترتيب لقاءات
بالسينمائيين تمهيداً لوضع تصوير للدور الذى ستقوم به
السينما المصرية. وللحق - فإن السينما المصرية -
وصناعها - قد تسابقوا للوقوف إلى جانب العهد الجديد،
البعض عن إيمان واقتناع، والبعض الآخر لم يخل موقفه من
شبهة مجاملة، وهو ما جعل ناقدًا محترمًا هو الراحل سامى
السلامونى يكتب فى نشرة نادى السينما (بتاريخ
١٩٧٩/١١/١٩) قائلاً "إن موقف السينما المصرية من
التاريخ موقف غير أخلاقى"! المهم أن الأفلام المهمة التى
بدأت تسجل معارك الثورة مع قوى الخارج، ممثلة فى
الاستعمار، والداخل ممثلة فى بقايا الإقطاع والرجعية،
ظهرت مبكراً فى فيلم مثل "بورسعيد" الذى جاء بتكليف
خاص من الزعيم جمال عبد الناصر إلى "نجم السينما
المحبوب" فريد شوقى - كما وصفه عبد الناصر - وبعد
الانتهاء من تصوير الفيلم الذى نعرف جميعاً قصته وأدائه،
رأى فريد شوقى أن يبعث برسالة شخصية إلى جمال عبد
الناصر قائلاً: "كان هناك دور ينتظر الفن، دور أكبر مما قام

به خلال المعركة، وهو يسجل وحشية المستعمرين، وبربريتهم وخستهم وفضائعهم، وقررت أن أنتزع للفن شرف القيام بهذه المهمة الجليلة، فانتجت فيلم بورسعيدى الذى أقدمه اليوم مسجلاً فيه ما ارتكبه قوى البغى والعدوان من همجية وبربرية، وأخيراً أرجو أن أكون قد أدت بهذا الفيلم ما ينبغي أن أقوم به كمواطن مصرى يؤمن بالحرية.. توقيع: فريد شوقى".

الجميل أن السلطة بادلت فريد شوقى مشاعره، فكتب أنور السادات عضو مجلس الثورة كلمة طويلة يمتدح فيها الفيلم جاء فى آخرها:

"هذا هو فيلم بورسعيد الذى ستلمسون فيه الوطنية والإباء والتضحية والفداء".

وكانت هذه بدايات علاقة متينة بين أنور السادات وفريد شوقى، استمرت حتى أصبح السادات (رئيساً) لجمهورية مصر العربية، فى حين أصبح فريد (ملكاً) للشاشة، فحرص السادات على تكريم فريد فى أحد أعياد الفن، ولعل البعض لا يزال يتذكر كلمة السادات له يومها:

"أبكيتنا يا فريد" كان يقصد دوره فى فيلم "لا تبكى يا حبيب

العمر"، وهو ما يؤكد استمرار العلاقة بين الفن والسلطة، وإن كان معروفاً عن الرئيس السادات أنه كاد أن يصبح ممثلاً بعد أن تقدم بالفعل لإحدى المسابقات الفنية.

وفى العام نفسه كان هناك فيم آخر شهير جداً هو "رد قلبي" الذي جمع بين أربعة ضباط هم المؤلف يوسف السباعي، المخرج عز الدين ذو الفقار، واثنين من أبطاله هما الفنان أحمد مظهر ضابط سلاح الفرسان، والفنان صلاح ذو الفقار ضابط البوليس الذي قال لي في صيف عام ١٩٨٨: إنه لم يخطر بباله التمثيل لولا شقيقه عز الدين ذو الفقار الذي طالبه بالاستقالة من البوليس والعمل بالسينما، رغم أن صلاح كان معلماً في أكاديمية الشرطة، وكر لي أنه يعتز كثيراً بهذا الفيلم، في حين أكد لي الفارس أحمد مظهر على نفس المعنى.

وكم كان الفنان المتميز كمال يس مؤثراً عندما قال عبارته الشهيرة في الفيلم: ("إنجي بتاعتى تعباني يا على") وطبعاً الكل يعرف إن "إنجي" التي يقصدها كمال يس الذي كان بدوره يمثل شخصية الرئيس جمال عبد الناصر، إنجي

التي يخصصها بحبه وقلقه وسهره لتخليصها من مغتصبيها
هى.. مصر.

وكم أشعلت مثل هذه المشاهد روح الوطنية فى قلوب
الشباب المصرى، وألهبت نار الحماس والغيرة على البلد
وشعبه، وكم تأثر المشاهدون بأفكار الحرية والعدالة والوطنية
فى أفلام مثل "فى بيتنا رجل"، "غروب وشروق، بل وحتى
فى أفلام حملت الطابع الغنائى مثل "المظ وعبد الحامولى"
الذى كشف عن بعض مفاصد النظام البائد، وغيرها من
الأفلام المهمة التى تعد علامات فى تاريخ السينما والوطنية
المصرية فى آن واحد... وبعد ذلك لا تسأل: إلى أى مدى
استفادت الثورة أو السلطة من الفن؟ ولا ما الذى استفاده الفن
من السلطة، فالفن محتاج دائماً إلى سلطة واعية، تدعمه
وقوية تسانده دون أن تخشى على نفسها من اقتلاع الفن لها
إذا كانت جذورها غير ممتدة فى قلب شعوبها..

والفن قادر على ذلك. ولحق فإن الفن والفنان
المصرى قد لعبا دوراً إيجابياً للغاية فى خدمة القضايا
الوطنية فى مصر، ويشهد المراقبون المحايدون بأن هذا

الدور الذى لعبه الفن والفنان كان بعيداً عن أية متاجرة أو
مزاييدة وليس بهدف التقرب للسلطة.

* * *

ولعل أوضح مثال على كلامنا هذا الفيلم الجميل الذى
يحمل عنوان "أيام السادات" وخرج علينا به صناعه وعلى
رأسهم الفنان الجميل "أحمد زكى" الذى استطاع أن يضع
اسمه فى مقدمة من لعبوا الأدوار التاريخية منذ لعب شخصية
عميد الأدب العربى الناصر "طه حسين" فى المسلسل
التلفزيونى الذى حمل عنوان السيرة الذاتية لمفكرنا الراحل
"الأيام"، ثم أكد الفنان المبدع أحمد زكى على قدرته فى
استحضار روح الشخصية عندما فاجأنا بتحضير روح
الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" فى السيناريو المحكم
الذى كتبه السيناريست المبدع محفوظ عبد الرحمن وبتفوق
على النفس كانت مفاجأة "زكى بهذا الفيلم" المشار إليه "أيام
السادات" الذى أعاد السادات "حياً" على الشاشة لمدة تزيد عن
الساعات الثلاث. ومهما اختلف البعض، أو خالفوا شبه
الإجماع، على جمال وفائدة الفيلم - وهو ليس مجالنا - لكن
يبقى السؤال الذى يقترب من موضوع هذا الكتاب: ماذا

استفاد أحمد زكى - كإنسان وليس كفنان - من تقديم فيلمين
عن زعيمين راحلين؟

بالطبع فإنه لم يستفد شيئاً، لأنه لم يتقرب من سلطة،
ولم يستفد من سلطان، لأن العصرين انتهيا تقريباً ولم يعد
أصحابهما يملكان أن يمنحا أو يمنعا. إذاً فهذا هو دور الفنان
الحقيقى والفن الحقيقى، يقدم شهادته على التاريخ وعلى
الأحداث متجردة من أية حسابات إلا حساب الضمير.

وفى هذا السياق فإننا نقدر ونحترم بشدة هذا التكريم
رفيع المستوى الذى منحته - السلطة - ممثلة فى أعلى
مستوياتها عندما أمر الرئيس حسنى مبارك بتكريم أسرة فيلم
"أيام السادات" بل وقلد بنفسه صناع الفيلم الأوسمة من أرفع
الدرجات. ولم تكن "السلطة" فى حاجة إلى رد الجميل للفن -
ممثلاً فى هذا الفيلم السينمائى - ولكنها انتهت - وهذا شئ
جميل للغاية - إلى تعبير الفن بهذا المستوى الراقى والإنتاج
السخى لفترة ما من تاريخها، ورمز من رموزها، مهما
اختلفت حولهما الآراء، أو تضاربت الشهادات، فاستحق
صناعه التكريم المناسب.

* * *

إذا كان ما سبق يدخل فى نطاق العمل المشروع للفن والفنان، إلا أن هناك - مع الأسى والأسف - أدواراً غير مشروعة، اختلط فيها الأمر على "الفنان" ليس فى مصر وحدها، بل فى مصر وهوليوود، فلم يقنع بعض الفنانين والفنانات من هنا وهناك بالقدر الذى حققوه من الشهرة، فراحوا يبحثون عن "النفوذ"، فى حين سعى بعضهم إلى "الإثارة" فراحوا يحومون كفراشات ملونة حول "السلطة" ولم يتبينوا - لفرط سذاجتهم - الفارق بين الضوء الأخضر الذى يسمح لهم بالعبور و"النفوذ"، والضوء الأحمر الذى يحذر من الاقتراب ويعلنها منطقة "نفوذ"! تصور بعض الفنانين - ومن حسن الحظ أن عددهم كان قليلاً - أنهم يستطيعون "اللعب مع أخطر مثل عصابات المافيا، كما فى حالة المطرب والسينمائى الأمريكى الشهير "فرانك سيناترا"، أما مارلين مونرو ونجم الإغراء اللعوب التى ظنت أنها مادامت تستطيع رفع ذيل فستانها بسهولة ودون وجل ليلتقط المصورون صوراً تذكارية لملابسها الداخلية ظنت وأهمة أنها تستطيع بنفس السهولة أن تهدد الكبار جداً وأن تفضح بلداً بحكامها!

وفى مصر حاول البعض اللعب مع الكبار تقليداً
لنجوم هوليوود الكبار، أو محاولة للانغماس فى "لعبة" والفن
لعبة جميلة وهادفة، أو خلقاً للإثارة والمتعة، أو طلباً لشهرة
أو نفوذ...

أصار حكم.. إننى فى أثناء بحثى للمادة الرئيسية لهذا
الكتاب، كنت أتوقف طويلاً قبل تحليل كل شخصية.. كنت
أحاول التعاطف مع كل بطل لحكاية من فصول هذا الكتاب..
كنت أشفق على بعضهم.. نعم.. كان يحدث هذا.

كنت أتوتر وأنا أسرد سطور كل فصل فى هذا
الكتاب وكأننى أكتب سيناريو فيلم سيخرجه من جديد نجم
الإثارة الأول "الفريد هيتشكوك" كان يحدث هذا وربما أكثر..
ولكن "التعاطف" لم يكن يأتينى فى معظم هذه
الحالات.

كيف أتعاطف مع ممثلة - أو ممثل - مطربة - أو
مطرب - يتمتعون جميعاً بالوسامة ويقدر لا بأس به من
الشهرة كانت تزيد مع الأيام بدون شك خاصة مع توافر
الموهبة. كيف أتعاطف وبالتالي أدعو قارئى الصديق لأن
يشاركنى التعاطف، مع هذا الفنان وتلك الفنانة التى راحت

تخلع نعليلها وتملؤهما بالتراب ثم تنهال به على تاريخها
وربما - عفواً كل العفو - على جمهورها الذى صدّقها
ومنحها تاج النجومية؟

تترك بإرادتها هذا الفن الجميل الذى يمكن أن يغير
به خريطة العالم، وتترك مواهبها التى حباها بها الخالق،
وتذهب إلى أقرب سرير - عفواً مرة أخرى - وتلقى
بجسدها عليه عارية الملابس والأخلاق، لترتمى تحت أقدام
مسئول طلباً لنفوذ أو تبركاً بسلطان.

ولا نتخيل - فى هذا السياق - ما قيل عن عمل
بعض الفنانات مع جهات أمنية - مثل المخابرات فى فترة
من الفترات - فى مهمة جمع المعلومات وبوسائل لا تليق
بفنانة أو غير فنانة مادامت تحترم نفسها وجسدها..

فى كل الحالات السابقة الخاسر هو الفنان الذى يبيع
دوراً غير دوره، وعملاً يخاصم كرامة الفن، أما الفن فهو
براء من مثل هؤلاء، وهم بعددهم المحدود لا يشكلون أى
تهديد لسمعة الفن والفنان، فهم ليسوا أكثر من مشهد فاسد فى
فيلم ممثلى بالأحداث الرائعة.

ولأن الفن براق، وكما أنه يجذب الفراشات الملونة فإنه يجذب إليه أيضاً الأنظار بقوة، مستمتعين بالنظر الدائم إليه وإلى فراشاته الجميلة، فإن هذه الفراشات الملونة أصبحت مادة للأحاديث والمسامرات والأخبار.. وهذه الأخبار إن لم توجد فإنها تُخلق خلقاً.. ولذلك لم تسلم العديد من الفراشات الملونة من الأخبار الكاذبة، والشائعات الظالمة، حتى نالت من كثير من الفراشات وكادت أن تمزق أجنحتها.

فمن بين الفنانين الذين اقتربوا من وهج ونار السلطة من طالتهم الشائعات وتحدثت عن أشياء كثيرة ربما لم تحدث على أنها وقائع وأسرار وكواليس لا يأتيها الباطن أبداً.

كما أن من بينها - الفراشات الملونة - من أقرب من السلطة فأفادها، كما في حالتي السينما المصرية وأفلام الثورة، وحالة الفنان العندليب عبد الحليم حافظ الذي يعد بحق أجمل أغنيات الثورة..

* * *

لعل الهدف من هذا الكتاب - والنتيجة في ذات الوقت - هي بيان أن الفنان له مجال وله أدواته في التعبير

عن قضايا وطنه، عن أحلام شعبه وهو أجسهم أيضاً، فإذا كان ولا بد أن يقترب من السلطة - أى سلطة - عليه أن يكون حذراً، فهذا ليس ملعبه، فإذا اقترب فليكن ذلك ليعبر عن رأى الناس وليس عن رأى الحكام. وليذكر أن ضوء السلطة المبهر يحرق الفراشات الملونة النائية.

* * *



أسمهان

لغز الأميرة والملك

إلا أن أسلوب حياة الأميرة لفت أنظار حكومة
فيتش الموالية للألمان، فرصدتها عيونهم حتى
صدر الأمر باعتقالها، وجاء من يحدّرها
ويطالبها بسرعة الهرب، وبالفعل استطاعت
الهرب بمساعدة أحد أمراء البدو عن طريق
التنكر في زي عبد من عبيده، بأُظلت
يديها ووجها باللون الأسود في مقامرة تشبه
مغامرات السينما..."

١٥ يوليو عام ١٩٤٤ نشرت الصحف هذا

الخبر المثير:

* طلخا في ١٤ - كانت الفنانة السيدة أسمهان مستقلة سيارتها الخاصة وسائرة في الطريق الزراعى المؤدى من القاهرة إلى رأس البر، تصحبها صديقتها الأنسة مارى قلادة، فحدث فى أثناء السير أن تردت السيارة - وكانت تسير بسرعة غير عادية - فى مكان شديد الانحدار "مطب" وسقطت على أثر ذلك فى ترعة الساحل على مقربة من بلدة شرنقاش، واستطاع السائق أن يقفز منها وينجو، ثم أخذ يستغيث فجأة بعض الأهلىين والبكباشى محمود على الشامى مأمور المركز وأخرجوا الفنانة وصديقتها جثتين هامدتين فارقتهما الحياة. ويستطرد الخبر: وبعد ذلك أخرجت السيارة وقامت النيابة بتحقيق الحادث، وأمرت باعتقال السائق، وقد أبلغ نأى الحادث إلى الأستاذ فريد الأطرش، فجاء فى المساء وتسلم جثة شقيقته وجثة رفيقتها بعد أن رخص بدفنهما فى القاهرة.

وقال سليم بك زكى وكيل حكمدار بوليس القاهرة
لمندوب إحدى الصحف وقتها: إن أسمهان كانت تعبر عن
أمنيّتها فى الإقامة بمصر بعد أن أحبّت أهلها وعاشت معهم
حقبة من الزمن، وكأنّ الله أراد تحقيق هذه الأمنية فوافقتها
منيّتها فى مصر. وعن أحد ألغاز الحادث قالت سطور
الخبر: إن التحقيق يدور الآن لمعرفة كيف قفز السائق من
السيارة ونجا من الموت؟!!

كانت هذه هى نهاية (حياة) أسمهان، ولكنها كانت
أيضاً حلقة فى سلسلة الألغاز التى أحاطت بالأميرة الدرزية،
التى أرادت - فيما يبدو - أن يكون لها دور فى أحداث
سياسية فى فترة ملتزمة من تاريخ المنطقة والعالم، كما أرادت
أن تكسر النطاق الضيق الذى اكتسبت أهميتها منه جبل
الدروز، باعتبارها أميرة اكتسبت مكانتها من أهمية عائلتها
فى المنطقة ومن زواجها من الأمير حسن الأطرش، أرادت
- بعد أن أعجبتها لعبة السلاطة. أن تلعب مع الكبار،
وساعدها على ذلك ذكاء خارق كانت تتمتع به الأميرة
أسمهان، وطموح زائد لم يستوعبه شهرتها الفنية التى حققتها
فى القاهرة غنائياً أو سينمائياً، ربما بسبب ما أدركته بحسها

من أنه لا يمكنها أن تكون النجم رقم واحد في سماء الفن في مصر، حيث كان في مصر هراً فنياً اسمه: أم كلثوم! لكن قبل ذلك لابد أن نعرف من هى الأميرة أسمهان..

ولدت أسمهان فى ٢٥ نوفمبر من عام ١٩١٢ على البحر المتوسط، وعاشت جزء من طفولتها فى سوريا على بعد مائة كيلو من العاصمة دمشق فى جبل الدروز أبوها الأمير فهد الأطرش، وأما الأميرة عالية المنذر، وعندما مات الأب خلال المقاومة الدرزية مع الفرنسيين، أخذت الأم أطفالها الثلاثة: فؤاد وأمال وفريد الأطرش الذى أصبح فيما بعد من أهم الموسيقيين والمطربين العرب حتى اليوم!

أخذت الأم أطفالها الثلاثة وسافرت بهم إلى حيفا ومن هناك أخذت قطار فلسطين إلى مدينة القنطرة المصرية، لتفتح أمام أولادها عالماً من المجد والشهرة بعد أيام من العذاب والفقر والحرمان، قاست خلالها الأسرة العذاب فى شقة متواضعة فى حي "باب البحر" الشعبى، ورغم ذلك كانت الأم حريصة على أن تلحق أبناءها بالتعليم، فالتحق فؤاد وفريد بمدرسة الخرفش، بينما التحقت أسمهان "أمال" بمدرسة

الراهبات فى شبرا وهما مدرستين من بين المدارس الفرنسية التى كانت منتشرة خلال تلك الفترة رغم أن الاحتلال الإنجليزى هو الذى كان يسيطر على مجريات الأمور.

وأمام الحالة الاقتصادية المتدنية وجد كلاً من فؤاد الأطرش وفريد الأطرش نفسيهما أمام مسئولية إعالة الأسرة، فعمل الأول فى أحد المعامل الطبية، بينما عمل فريد مسئولاً عن توزيع البضائع على دراجة بدائية لحساب أحد المتاجر التى كانت تعمل فى بيع الملابس.

وفىما يذكر فؤاد الأطرش: كانت الأم تتمتع بصوت رائع الجمال، وكانت كثيراً ما تدندن أمام أولادها، فاستجاب لنداء الكروان كلاً من فريد وأسمهان، وتأثرا بذلك الصوت البديع، وكان فريد هو الأكثر جرأة فى الخروج بصوته خارج جدران البيت وتعرف على بعض كبار الموسيقيين أمثال زكريا أحمد، وداود حسنى الذين ترددا على بيت آل الأطرش واستمعا إلى صوت أسمهان، وانبهر بموهبتها داود حسنى فتعهدا بالرعاية وتبنى موهبتها، وأعطاهما داود حسنى اسمها جديداً هو الذى اشتهرت به حتى يومنا هذا وهو اسم "أسمهان" وقد كان اسمها الأصلى هو "أمال الأطرش".

بالإضافة إلى الاسم الذى كانت تتاديهها به الأسرة والمقربون وهو "إميلي" وتم استبدال الاسمين باسم "اسمهان"...
و.. كبرت أسمهان.. صارت أكثر نضجا.. أكثر أنوثة.. أكثر فتنة.. وزاد من وقع أنوثتها كونها لم تنس أنها من عائلة أمراء، كانت تتعامل مع المحيطين بها كـ "ليدى"، بل كأميرة، وكان لديها مقدرة غريبة على أن اجتذاب الرجال حولها..

وكان ذلك سبباً فى قلق والدتها وأيضاً شقيقها فؤاد، أما الشقيق الثانى فقد كان فيما يبدو مشغولاً برحلة صعودها، أو أنه كان ينظر إلى خطوات شقيقته بترقب!
وفى أحد الأيام فوجئت أسمهان بابن عمها الأمير حسن الأطرش الذى تبين فيما بعد أن فؤاد الأطرش كان قد استدعاه لرؤية اسمهان حتى يصونها بالزواج إن أعجبته، لأن فى عرفهم أن الدرزية لا تتزوج إلا من درزى مثلها، وبالتالي فإن ابن عمها هو أحق الناس بها، ومع اللقاء الأول انبهر الأمير حسن بالسندريللا أسمهان، وطلب إتمام زواجهما فوراً والعودة بها إلى الجبل.. جبل الدروز..

نزل الأمر كالصاعقة على أسمهان التي كانت قد اعتادت على حياة المدينة الصاخبة، وكان الفن قد بدأ يعطيها شهرته وبريقه..

وأمام ضغوط الأسرة وافقت اسمهان على الزواج بشرط أن تكون إقامتها في دمشق باعتبارها الأقرب إلى حياة المدن الكبيرة، وألا ترتدى الحجاب - زى نساء جبل الدروز - والشرط الثالث ألا يحرمها الزواج من التردد على القاهرة، على الأقل كل شتاء.

وسافرت أسمهان التي أصبح لقبها الرسمي بعد الزواج من الأمير حسن، هو الأميرة آمال الأطرش، سافرت بعد أن أقام لها الزوج قصرًا فاخرًا في دمشق، وجعل لها حراساً من أقوى الرجال يرتدون زيًا خاصاً، بالإضافة إلى سيارة فارهة وسائق خاص.. باختصار اكتملت "الهالة" حول الأميرة التي تركت - مؤقتاً - عرش الغناء، وهو عرش معنوى، إلى عرش الإمارة وهو عرش مادي، واقعى يرضى غرور وطموح أيه امرأة..

فهل قنعت الأميرة؟

الحقيقة أنها لم تقنع، ولا حتى بعد أن أنجبت طفلة
جميلة للغاية أسمتها "كاميليا" وظل الحلم بالشهرة وبالنجومية
يطاردها فى صحوها وفى منامها..

كان الزواج يقف حائلاً بينها وبين حلمها، كما كانت
الأمومة حائلاً آخر وكذلك البعد عن القاهرة مركز الفن
وبؤرة الضوء...

لذلك لم تجد أسمهان أن تترك قصر الزوجية، وأن
تترك ابنتها لتحضنها جدتها، وأن تترك الإمارة والوجاهة
والمشاركة فى الحكم. نعم تركت كل هذا وعادت إلى القاهرة
والحلم القديم يداعبها..

وفى القاهرة كان حكم الملك فاروق وقد بدأ،
وسرعان ما تتأثر الكلام عن طيش الملك الذى تزامنت
سلطته مع مراهقته التى استغلها وقواها شلة المنتفعين التى
تتبت شيطانياً بجوار كل حاكم جديد..

وأرادت الملكة نازلى والدة فاروق بإيعاز من الأميرة
شويكار أن تضع حداً لطيش فاروق، فكان الأمر بزواجه من
الملكة الراحلة فريدة، وكانت أسمهان فى تلك الفترة مطربة
مشهورة، فدعيت للغناء فى حفل زفاف فاروق الذى أقيم فى

قصر عابدين، والغريب والمثير والطريف والمؤسف - كل هذا في آن واحد - أن يشهد ذلك اليوم بداية إعجاب فاروق (فى ليلة زفافه) بالمطربة الأميرة أسمهان!

ولكن مفاجأة أخرى كانت بانتظار اسمهان ممثلة فى إعجاب أشد حرارة من جانب أحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك فاروق، ويبدو أن حسنين باشا قد استطاع أن يستميل أسمهان تجاهه، ويبدو أن أسمهان قد بادلته الإعجاب بمثله، ولكن على الجانب الآخر فإن الملكة نازلى والدة الملك فاروق كانت تعيش قصة حب ملتهبة - قيل أنها من طرف واحد - مع أحمد حسنين، وبالطبع فإنه لم يعجب الملكة الأم العاشقة أن تنافسها فتاة درزية حتى لو كانت صغيرة السن وتمتلك صوتاً كريستالياً وبشرة صافية وعيون خضراء لها سحر لا يقاوم!

كانت المواجهة عند هذا الحد أكبر من أن تواجهها أسمهان منفردة لا تملك إلا قوامها النحيل، ليس عندها شئ تواجه به الأعداء إلا صوتها، وهو رغم - قوته - لا يصلح فى مثل هذه المعارك الشرسة!

على الجانب الآخر من المواجهة كانت تقف نازلى -
الملكة - بقوتها ونفوذها،

قوة السلطة ونفوذ السلطان ورعب التاج الملكى الذى
تضعه على رأسها.. صحيح أن فاروق كان غير راض عن
علاقة أمة برئيس ديوانه، ولكنه كان يغمض عينيه إتقاء
لغضب الأم التى كانت لا تتورع عن أى فعل ترى فيه
سعادتها حتى لو اتسم ذلك بالفضيحة!

كان لنازلى عيون وأذان عديدة زرعتهم لرصد
تحركات معشوقها أحمد حسنين، وكان هؤلاء يساعدونها فى
نسج سياج من الحماية حول الرجل الدونجوان الذى كانت
ترنو إليه الكثير من المعجبات، وكانت نازلى حريصة على
أن تبعده أولاً بأول عن هؤلاء المعجبات، ومن (عيونها)
عرفت أن أحمد حسنين كثير الإعجاب بالمطربة أسمهان وأنه
دائم التردد عليها فى مقر إقامتها فى فندق مينا هاوس، وأنه
لم يعد يخشى الالتقاء بها علناً فى السهرات الاجتماعية..

وجن جنون الملكة نازلى، ولم يغفر لأسمهان زواجها
المفاجئ من المخرج أحمد بدرخان، فقد رأت نازلى هذا

الزواج يمكن أسمهان من الحصول على الجنسية المصرية،

فجاء القرار: لابد من إبعاد أسمهان عن مصر!

واستدعت نازلي موظفاً كبيراً في القصر لمشورته

في الأمر والإيعاز إليه بأنها تريد إبعاد أسمهان فوراً عن

مصر، فقال لها الرجل إن هذا ممكن لأن زواج بدرخان من

أسمهان هو زواج عرفي غير موثق، ولكنه أضاف أن بوسع

بدرخان أن يتقدم بطلب لتجديد إقامتها لمدة عام آخر في

مصر إلى أن يتحول عقد الزواج من عرفي إلى شرعي،

وعندما لاحظ الرجل علامات الغيظ على وجه الملكة قال

لها: إنه يمكن حل الموضوع عن طريق طلاق بدرخان من

اسمهان، وقبل أن تكمل عدتها يتم ترحيلها حتى لا تتزوج من

رجل آخر...

قالت الملكة: وكيف يتم الطلاق وبدرخان يحبها كل

هذا الحب فيما أعلم؟

قال الرجل: نرسل إليه من يدس له بأن زوجته

تخونه مع أحمد حسنين!

هنا قالت الملكة وهي تتهايل بالبهجة: نفذ فوراً.

وفعلًا ثار بدرخان لكرامته وطلق زوجته بسبب هذه
الدسيسة التي لم يعرف حقيقتها إلا بعد (١٤) عاماً، بعد وفاة
أسمهان!

أما أسمهان فقد اكتشفت الخطر الذي يحيق بها عندما
تنتهى فترة إقامتها في مصر، وكيف أن السلطات ستبادر
بترحيلها فوراً في مصر تلبية لرغبة الملكة نازلي، فبدأت
تبحث بين معارفها وتوسط الباشوات والباكوات من الأصدقاء
الذين بشروها في البداية بأن الأمر سهل للغاية، ثم سرعان
ما عدوا ليقولوا لها إن حصولها على الجنسية المصرية أمر
صعب، بل مستحيل!

هى: ليه.. أنا عشت في مصر أكثر مما عشت في
سوريا!!

قالوا: متأسفون.. إن جميع السلطات المسئولة تطالب
مغادرتك البلاد فور انتهاء مدة إقامتك!

قالت: أنتوا باشوات ومش قادرين على طلب بسيط
ذى ده؟

قالوا: سنصارحك.. إن هناك جهات عليا تدخلت في
الأمر لغير صالحك.

قالت: هل هى أم كلثوم؟

قالوا: لا.. إنها الملكة نازلى التى تدافع عن حبها
لأحمد حسنين باشا، وتخشى من استمالتك له وسيطرتك
عليه!

هنا ضحكت أسمهان ضحكتها الرفيعة الرنانة،
ضحكت وهى تضع يدها على صدرها استجداء للضحكة
التي عزت عليها وهى فى هذه الظروف القاسية، وضحكت
حتى مالت برأسها إلى الوراء، رغم أنه كان يجب عليها أن
تحنى رأسها إلى أسفل خجلاً من هزيمتها فى أول معاركها..
عند هذا الحد، وهذا الموقف، تكشف لأسمهان أمور
عديدة، فقد اكتشفت ضعفها الشديد، رغم أنها كانت تظن
العكس بما كانت تحيط نفسها به من باشوات وعليه القوم،
حتى أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى خجلت من أن تلجأ
إليه فى مشكلتها هذه، فحتماً هو يعرف، كما يعرف
الكثيرون، ولكنهم مثلها ضعفاء لا يقوون على المواجهة
وربما تكون هذه الواقعة هى التى دفعت أسمهان لأن تسلح
نفسها بالقوة فى مواجهة القوة!

لقد اكتشفت أنها إن أرادت أن تكبر وتعلو، فعلیها
النزول إلى حلبة الصراع ومواجهة الكبار!
ولكن قانون اللعبة هنا مختلف، فأنت لا تبارز
بسیفك، بل بسیوف الآخرين، كما أنك لا تستمد قوتك من
ذاتك بل من القوة التي تستند إليها وتركن ظهرك إلى
صدرها.

ربما كان هذا هو الدرس المهم الذي تعلمته أسمهان
من موقعة "نازلى / أسمهان" ولابد أنها قررت شيئاً فى ذلك
اليوم، أو على الأقل كانت مستعدة لأن تأخذ قراراً يقويها....
كيف.....؟

لم يستمر زواج أسمهان من أحمد بدرخان سوى
شهر أو أكثر قليلاً، ثم حصل الطلاق المدبر، وما تلاه من
صفعة نازلى المدوية بطردها من مصر وإعادتها إلى جبل
الدروز، وأحست أسمهان بالضعف والهوان، فأصبحت
بالاكتئاب فى ذلك الوقت وفكرت فى الانتحار، وكانت
الحرب العالمية الثانية قد بدأت، وكان الإنجليز يسعون إلى
أن يساعدهم الدروز، وبدأت العلاقة بينهم وبين أميرة جبل
دروز ومن بين "٤٩" كتاباً تناولت حياة أسمهان نتوقف عند

الدراسة التى كتبها البريطانى "تيكولاس فاش" عن أسمهان والمخابرات البريطانية والذى يؤكد فى البداية أن العلاقة بدأت فى القاهرة قائلاً: عندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت أسمهان تعيش فى القاهرة وأصبحت مطربة مشهورة وكانت القاهرة فى ذلك الوقت - رغم أجواء الحرب - واحة لحياة السلم، حيث كان الضباط البريطانيون يغادرون الصحراء ليقضوا إجازتهم فى القاهرة كأنهم يعيشون فى الفردوس!!)

وكانت سوريا ولبنان تحت سيطرة قوات حكومة "فيتشى" الموالية للألمان، وكانت خطة بريطانيا دخول سوريا ولبنان وطرد تلك القوات، وكانت هذه الخطة تقتضى الاتفاق مع زعماء جبل الدروز على عدم التعرض للقوات البريطانية عند عبورها الجبل للدخول إلى سوريا والسماح لها بالتقدم دون مقاومة ومن هنا جاء دور أسمهان، فقد لجأت إليها المخابرات البريطانية للاستعانة بها باعتبارها أميرة درزية ومطلقة أمير جبل الدروز "حسن الأطرش"...

كان دورها يتمثل فى إقناع زعماء الجبل لتهيئة الوسائل اللازمة لضمان نجاح تلك المغامرة...

ومن أجل نجاح مهمتها قررت أسمهان العودة إلى زوجها الأول الأمير حسن الأطرش. ومضت أسمهان في تلك الخطة، وحسب ما جاء في كتاب فرنسي حديث بعنوان "النيزك.. قدر أسمهان المحتوم" لكاتبة فرنسية من أصل لبناني تدعى "ماري سورا" تقول سطور الكتاب (حسب ترجمة روز اليوسف العدد ٣٧١٥) "عانت أسمهان إلى زوجها عام ١٩٤١، وكانت قد طلفت منه عام ١٩٣٩، وقررت أسمهان أن تضع نهاية لحياتها الفنية، وتكريس كل حياتها لأسرتها، ففي بيروت وفي إحدى السهرات الكبيرة قامت الأميرة بالظهور للمرة الأولى في ذراع زوجها الذي أصبح بعد ذلك بفترة وزيراً للحرب، وقابلت أسمهان الجنرال ديجول أثناء مروره بالشرق الأوسط، وقيل أنه التقى بها في مباحثات مهمة لوقت طويل وأنه أعجب بها وبجمالها وثقافتها.

وتحكي الكاتبة نقلاً عن مصادرها أن أسمهان لم يكن يهتمها الملابس الغالية ولا المجوهرات ولا أى شئ له ثمن، فقد كانت تلعب القمار في كازينوهات بيروت - التي سجلت فيها اغتيها الرائعة ليالى الأندلس في فينا - وتتفق ببذخ

وبدون حساب وانتهت حياتها سريعاً مع الأمير حسن للمرة الثانية بالانفصال.

ولكنها كانت مستمرة فى علاقتها بالمخابرات البريطانية، فاستطاعت أن تقنع مشايخ القبائل وكبرائهم بعدم التورط فى الحرب والمقابل: حقيقة مملوءة بالذهاب تلقتها من المخابرات البريطانية، وقامت بتوزيعها بأمانة شديدة.

ويبدو أنه حقاً لم يكن الملك ولا الذهاب يشغلان بال الأميرة أسمهان، بل أن كانت تبحث عن ("القوة" التى تمكنها من رد اعتبارها أمام الصفعة التى تلقتها من الملكة نازلى، والتى تساعدها على البقاء فنياً فى المكان والمكانة التى تريدها!

إلا أن أسلوب حياة الأميرة لفت أنظار السلطات التابعة لحكومة "فيتش" فى سوريا والمالية للألمان، فرصدتها عيونهم حتى صدر الأمر باعتقالها، وجاء من يحذرها ويطلبها بسرعة الهرب، وبالفعل استطاعت الهرب بمساعدة أهد أمراء البدو عن طريق التتكر فى زى عبد من عبده، بأن طلت وجهها ويديها باللون الأسود فى مغامرة تشبه مغامرات السينما حتى وصلت إلى حدود الأردن ثم

فلسطين حيث سلمت المعلومات التي لديها إلى الجنرال "باص" وبعد يومين فقط زحفت قوات الحلفاء حتى تمكنت من دخول سوريا ولبنان وطردوا منها حكومة فيتش الموالية للألمان، وقد رافقت أسمهان قوات الحلفاء في زحفها على سوريا ولبنان، فقدر لها الإنجليز هذا الدور المهم! وكذلك صنعت لنفسها مكانة لدى الفرنسيين وانهالت عليها المكاسب وأصبح لها سلطة ونفوذ، فأصبحت تتوسط بين شيوخ القبائل وبين سلطة الاحتلال في بعض الأمور، ووعدوا الإنجليز الرحيل إلى مصر بعد هدوء الأمر على جبهة سوريا ولبنان. انغمست الأميرة في حياة الترف والبذخ والسهرة والشراب، وهو ما جعل الجميع يتساءلون عن مصدر هذه الثروة التي هبطت على الأميرة، وهو ما جعل الجنرال "باص" رجل المخابرات البريطانية ينقلب على أسمهان ويفقد حماسة لها بسبب إدمانها للخمر الذي يتنافى مع التحكم في النفس، وفي اللسان الذي هو ألف باء العمل بالمخابرات. ومن المهم أن نقرأ هنا هذه الشهادة التي يقول فيها صاحبها: شهادة فؤاد الأطرش الذي يقول فيها: "بدأ الجنرال باص ينظر لاسمهان على أنها مصدر خطر، فشرع في

التخلص منها بكل هدوء، حيث كان يعرف أنها قوية النفوذ بالنقود، والنقود من عنده، فقبض يده عنها، وبدأت أسمهان تشعر ببوار الإفلاس، ولكن هذا لم يثنها عن بذخها لأن الجنرال الفرنسي "كاترو" وثق علاقته بها لاستمالتها ولكن المال الذى كانت تتقاضاه من الفرنسيين لم يكن يغطى مصاريفها".

ومن هنا نكتشف انقلاب أول جهة تعاملت معها اسمهان، عليها، وهى المخابرات البريطانية، وإذا أضفنا إلى ذلك غيرة الملكة نازلى منها ومصلحتها فى إبعادها عن مصر - وربما عن الحياة، وزاد وعن الفجوة بينهما ما حدث من أسمهان تجاه الملكة نازلى فى فندق الملك داود بالقدس، فقد كانت الملكة تقضى ليلة تراقص الضباط الإنجليز، وعندما علمت أسمهان بوجودها تعمدت إهانتها أمام الجميع، رداً للصفعة التى سبق وأن تلقتها من الملكة فى القاهرة.

وهذه عدو آخر لأسمهان فى ألعاب الخطرة، عندما أوهمت صحفى أمريكى بأنها على استعداد للتعاون مع الألمان، ثم استدرجته داخل قطار حتى ألقى الإنجليز القبض عليه، فخلقت لنفسها عداوة أخطر مع الألمان!

أما إذا كان صحيحاً ما قيل عن أنها حاولت الانقلاب على مخابرات بريطانيا وفرنسا واللعب مع الألمان ضدهما، بعد أن قل تقدير الأول لها، فإن الخطر يصبح أشد وأعنف!

ولكن من بين كل الاتهامات التى تنأثرت حول المتسبب فى مصرع اسمهان، فإنه يشار دائماً إلى المخابرات الإنجليزية، فهذا هو عزيز المصرى باشا يحكى فى مذكراته. "أبو الثائرين عزيز المصرى" الذى صاعه محمد عبد الحميد، يقول: "لما رأيت المخابرات الإنجليزية أن ترك أسمهان أمر بالغ الخطورة، كان القرار بالقضاء عليها، وتم تدبير حادث مصرعها بالقرب من المنصورة، ثم أطلقوا الشائعات بأن أم كلثوم وراء مصرعها وعملوا على ترويح هذه الشائعة..

فى حين أشار البعض إلى المخابرات الفرنسية، والبعض الآخر أشار إلى المخابرات الألمانية، بينما أكد البعض أنها الملكة نازلى...

واختلط الأمر على المتابع المدقق، ولكن يبقى (الفعل) وهو هذه النهاية المأساوية لفنانة لم تقنع بدورها الفنى وراحت تلعب مع الكبار ظناً بأنها واحدة منهم.. وهذا هو الخطأ.....



كاميليا

بين السينما والتجسس

"وبدأت كاميليا تلفت إليهما الأنظار في الكلوب
المصرى، بملابسها الفاخرة الملفتة للأنظار،
وبرقصها المثير، فتنبه إليهما "بوللى" أشهر
صائد للنساء، ليس لنفسه، وإنما لملكه فاروق
الأول ملك مصر في ذلك الزمان"

الإثارة والألغاز فى حياة هذه النجمة المثيرة منذ مولدها وتحديداً فى اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر عام (١٩١٩)، فرغم أن هذه المولودة الطفلة التى استقبلتها الدنيا فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم، رغم أنها سجلت فى سجل المواليد باسم "إيليان فيكتور كوهين" ورغم أنها نسبت إلى ذلك الأب إلا أن الكثيرين قد أكدوا أن "إيليان" لا تمت إلى ذلك الرجل بأية صلة، وحل ذلك اللغز بسيط للغاية عند من كشفوا أوراقه، فالأم "أولجا" - اليونانية الأصل - تزوجت ثلاث مرات، الزواج الأول من موظف سكندرى مسلم الديانة، والثانى من تاجر موبيليا شهير وقتها - وهو سكندرى أيضاً - مسيحى الديانة، أما الثالث فهو المدعو "فيكتور كوهين" وهو كما يتضح من اسمه يهودى الديانة ومن هنا نكتشف الاكتشاف الأول وهو أن "أولجا" - الأم - قد جمعت فى زيجاتها بين الديانات السماوية الثلاثة المنزلة، والسبب غير مفهوم اختارت "أولجا" الزوج الثالث لتتسبب ابنتها المولودة له، ليصبح اسمها فى السجلات الرسمية

"ليليان فيكتور كوهين" إلا أن "فيكتور" أنكر هذه البنية وانتزع من الأم "أولجا" تعهداً بألا ترثه هذه الابنة المزعومة (حرص يهودى معهود وخوف على المال حتى بعد الرحيل!) ويبدو أن تهديد اليهودى الغاضب قد حقق المراد، فجد الأم تذهب بمولودتها "لتعميدها" فى الكنيسة استناداً إلى ديانتها (وإن كنا سنكتشف فيما بعد ميول ليليان - التى ستصبح كاميليا - إلى اليهودية وما قيل عن الخدمات السرية التى قدمتها لإسرائيل).

كبرت البنت والتحقّت بمدرسة السبع بنات، وهى مدرسة تديرها وتشرف عليها الراهبات، وظلت فيها حتى بلغت الثالثة عشرة من عمرها، وإلى هنا كان كل شئ فى حياة هذه الفتاة يسير على ما يرام، فمدارس الراهبات معروف عنها الحزم والصرامة فى تربية الأولاد والبنات، بل وبصفة خاصة (البنات)، إلا أن الفتاة "ليليان" التى أصبحت على أولى درجات سن المراهقة، قد اكتشفت تفجر مظاهر الأنوثة فى جسدها الذى بدا وكأنه قد نضج قبل موعده!

ويبدو أن والدتها قد لاحظت ذلك - ولابد أن تكون قد لاحظت - فخافت عليها، ليس مستبعداً على مثل تلك الأم

أن تخشى على ابنتها من زحام العاصمة، ومن شراسة نظرات القناصين لغزال شارد، فألحقتها بإحدى مدارس مدينة الإسكندرية، لتكون تحت بصرها وحمايتها.

ولكن النتيجة جاءت عكسية، فالفتاة جميلة، مثيرة، ذات قوام فارغ، ممشوق، كل ما فيها مثير، محرض على نظرات الرجال، فالبشرة بيضاء بلون الصفاء، تتير من وجهها عيان براقتان، ساحرتان، تدعواك للسفر فيهما - ومعهما - إلى المجهول، شفتان مكتنزتان بلون حبات الكريز، كأنهما تنتظران دوما.. القبل!

والتقطها أول ما التقطها ضباط الاحتلال الإنجليزي، (وكانها ناقصة)، ويبدو أنهم رأوا فيها اجتماع نموذج الجمال الأوروبي (الشعر الذهبي والبشرة البيضاء) بسحر الشرق وجاذبيته، إضافة إلى القوام الممشوق، وقد لاقى مغازلاتهم استجابة من جانب هذه الفتاة التي كانت تبحث عن مغامرة.. وهكذا وضعت "ليليان فيكتور كوهين" قدمها على أول درجة من السلم الذي سيصعد بها إلى... الهاوية!

* * *

نحن الآ، فى القاهرة حيث قررت "ليليان" أن تأتى إلى العاصمة تبحث عن (شئ) عن (شخص)، لم تكن حتى هذه اللحظة تعرف ما هو الشئ الذى جاءت القاهرة تبحث عنه، ولا من هو الشخص الذى سيساعدها فى الحصول على ما تريد ولكنها رغم ذلك قد جاءت!

فى البداية نزلت فى فندق سميراميس بمساعدة بعض الضباط الإنجليز الذين تعرفت عليهم فى الإسكندرية..

وفى القاهرة التقطها دونجوان الأربعينات الفنان أحمد سالم، ويبدو أنها رأت فى أحمد سالم الشخص الذى كانت تبحث عنه، فهو رجل ذو جاذبية تسكر النساء اللاتى يبحثن عن متعة من نوع خاص، كما أنه رجل سخي بطبعه لا يعرف البخل، ويحب المال لينفقه، أيضاً فإن أحمد سالم كان فى نظر "ليليان كوهين" هو البوابة الذهبية للدخول إلى "الفن" الذى اكتشفت أنه "الشئ" الذى كانت تبحث عنه، والذى يمكن أن تعبر منه إلى نوعية الحياة التى تريدها، الشهرة والمال والاستمتاع والإثارة! لعل الأخيرة "الإثارة" كانت هى الشئ المحدد الذى تبحث عنه هذه الفتاة التى سارت حياتها على نحو يجعل الباحث يضع عشرات من علامات التعجب بعد

ذكر كل خطوة كانت تخطوها، وكل موقف طُلب منها أن يكون لها رد فعل تجاهه!

* * *

نحن الآن داخل شقة الفنان أحمد سالم بشارع عبد الخالق ثروت بمنطقة وسط مدينة القاهرة، كان ذلك في ربيع عام ١٩٤٦، وقد وجه الدعوة إلى عدد كبير من المحررين الفنيين للإعلان عن اكتشاف جديد له، ووسط لهفة الصحفيين وهرولتهم إلى الفنان المغامر كانت المفاجأة: فقد وقع بصرهم على فتاة عارية تماماً، عفواً.. هكذا خيل لهم في بداية الأمر، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أنها ترتدى "مايوه" بلون الجسم تماماً، ومن شدة التصاقه بجسدها الممشوق، كان يكشف أكثر مما يستر، ويكاد يُصرح بما يخفى!

لم يكن الصحفيون في حاجة بعد ذلك إلى ما قاله أحمد سالم، من أن الفتاة التي تقف أمامهم بابتسامتها المغرية، وأنوثتها الطاغية، هي أحدث اكتشافاته الفنية، لم يكونوا بحاجة إلى هذه الجملة لأنهم فطنوا إليها، واستتجوها، وأضاف أحمد سالم أنه وقع عقد احتكار مع بطلته الجديدة لمدة ثلاث سنوات للعمل معه في أفلامه، وأن باكورة إنتاجه

لها سيكون فيلماً بعنوان "الست الكبيرة"، ومع الأسئلة المتلاحقة التى انهالت على البطلة السينمائية الجديدة، أبدى البعض ملاحظة حول لكانتها "الخواجاتى" التى قد لا يتقبلها الجمهور المصرى، وكان رد الدونجوان أحمد سالم بأنه قرر أن يعهد إلى مجموعة من المدرسين فى مختلف العلوم والفنون، بما فيها اللغة العربية، لتثقيفها وتعليمها وصلها....

وجاءت الصفحات الفنية فى الأيام التالية تحمل نبأ الاكتشاف السينمائى الذى سيهدد عرش النجمات "الفيديت" الجميلات، وراح البعض يصف النجمة القادمة بدءاً من شعرها الذهبى وعينيها الفاتنتين، وشفتيها المكتنزتين...

من ناحية أخرى بدأت "ليليان" التى أصبحت "كاميليا" كما أطلق عليها الدونجوان تشببها لها ببطله الرواية العالمية الشهيرة "غادة الكاميليا" - والصدفة أن بطلة الرواية كانت تبحث عن المتعة وتجري وراء اللذة.. فهل كانت صدفة؟! -

بدأت كاميليا تظهر فى السهرات متعلقة بذراع "الدونجوان"، فكان الجميع يحسدون عليه استيلاءه على صاحبة العينين التى وصفهما كامل الشناوى بأن بهما إشعاعاً يسحر الناظرين، والشفيتين اللتين تماثلين حبات الكريز، والطريف

أنها لم تفهم معنى قصيدة كامل، لأنها كانت تجيد اللغتين العبرية والفرنسية، فى حين أنها لم تكن حتى ذلك الوقت تتقن اللغة العربية، وتطوع الأديب الكبير توفيق الحكيم فشرح لها معنى القصيدة بالفرنسية، ويصف الكتاب والفنان ناصر حسين (روز اليوسف العدد ٣٣٥٧) رد فعل كاميليا عندما سمعت القصيدة باللغة التى تفهمها: "أنها نظرت نظرة سريعة إلى كامل الشناوى ثم ضحكت ضحكة هستيرية وتوقفت بعدها عن الكلام والضحك!"

ورغم هذه الأنوثة الطاغية، إلا أن "الدونجوان" قد ملها وراح يبحث عن حب جديد، فتعلق بممثلة شهيرة عرفت بلقب "سمراء الشاشة"، وبسبب هذه العلاقة الجديدة لم يف الدونجوان بتعاقده مع كاميليا، فلم ينتج لها أية أفلام، وكانت أن تتبخر أحلام كاميليا فى حياة البذخ والترف والنجومية، لم تكن حزينة على ضياع فرصة الثراء والشهرة باعتبارها كانت تحب المال وهى صفة يهودية متأصلة.. كانت تعلم أن أحمد سالم سيتركها إن أجلاً أو عاجلاً، فهو الذى قال لها يوماً: إن النساء تحبه لأنه يحتقرهن(!)

ومن جانبها قررت كاميليا أن تعامل الدونجوان بالمثل، وقررت أن تبحث عن رجل آخر يحقق لها أحلامها بعيداً عن أحمد سالم، وتعرفت بالفعل على صاحب مصنع للنسيج في شبرا الخيمة، الذي ذهب بها إلى "الكلوب المصرى" وهو مكان كان يرتاده كبار القوم من رجال المال والسياسة، وهو بالتحديد المكان الذي كانت تحلم به كاميليا لفترة طويلة من عمرها، وبدأت كاميليا تلقت إليها الأنظار عن عمد في الكلوب المصرى، بملابسها الفاخرة الملفتة للأنظار التى اشتراها لها تاجر النسيج، كما لفتت الأنظار برقصها المثير، فتنبه إليها "بوللى" أشهر صائد للنساء، ليس لنفسه، وإنما لمليكه فاروق الأول ملك مصر فى ذلك الزمان.. ولكن "بوللى" بخبرته ودرايته بنفسية الملك فاروق، كان يعرف أن ملكه لا يحب النساء المغرورات، بل إنه يفضل المشهورات منهن من نجمات الفن أو من زوجات الكبراء... عقدة يعنى!

فوضعها بوللى فى قائمة الانتظار..

وفى هذه الأثناء تتفق ذهن أحمد سالم لأن يستثمر كاميليا، وأن يستعيد جزءاً مما أنفقه عليها، فقرر أن يمنحها

ليوسف بك وهبى - المنتج والممثل الكبير - لتكون بطلة
لأفلامه، وكانت لدى يوسف وهبى بالفعل رغبة فى أن
يستثمر الضجة الإعلامية التى صاحبت اكتشاف كاميليا،
وتمت الصفقة بين أحمد سالم ويوسف وهبى مقابل ثلاثة
آلاف من جنيهات ذلك الزمان - وهو مبلغ ضخم وقتها -
وكان ما حدث صدمة - إن لم تكن لظمة - تلقتها كاميليا،
بعد أن أيقنت أنها شخص غير مرغوب فيه من جانب قاهر
النساء، فقررت الانتحار، والانتحار مغامرة ويأس وإعلان
فشل من جانب من يقدم عليه، ولكن كاميليا كانت جادة فى
عزمها على الانتحار، فاتصلت بأحمد سالم وطلبت مقابلته
لإنهاء عقد احتكاره لها، وبعد أن أغلقت سماعة الهاتف
ارتدت ثوباً منزلياً يكشف عن أوثنها - ربما ليتحسر عليها
الدونجوان - واستلقت على أريحة فى حجرة الاستقبال، بعد
أن ابتلعت كمية قاتلة من عقار منوم، وجاء أحمد سالم، وفتح
باب شقتها بمفتاح يحتفظ به فى جيبه، فقد كانت الشقة التى
تسكنها فى الدور التاسع من عمارة الإيموبيليا بشارع شريف
بوسط القاهرة، هى الشقة التى استأجرها خصيصاً لها لتكون
قريبة من منزله على بعد أمتار...

لاحظ أمد سالم أن هناك شيئاً غير طبيعي في نوم
كاميليا، واكتشف أن نبضها ضعيف، فاتصل على الفور بأحد
الأطباء، وتم إسعافها، وبعد أن عاد إليها وعيها قال لها:
"أحبك بدون أقرص منومة".

واتصل بعدها بيوسف وهبي وأعطاه ما دفعه من
مال ليستعيد كاميليا ولكن كاميليا كانت قد عازمت على شيء
أسرته؟!

* * *

كانت كاميليا قد قررت أن تعيش حياتها بالطول
والعرض أكثر وأكثر، وألا تمنعها علاقتها بالدونجوان من أن
تقيم علاقات أخرى تحقق لها مكاسب أكبر، فترددت بشكل
منتظم على الكلوب المصري، ومنه تعرفت على رجل أردني
ثري يمتلك طائرة خاصة، وأمام إغراءاتها قرر الرجل أن
يُنَجِّحَ لها فيلماً يقدمها بشكل جذاب ووعداً بأ، ينفق على
الدعاية لها ببذخ، ويقال أن العرض كان يقف من خلفه
"بوللى" سكرتير فاروق من أجل أن تتحقق نجومية كاميليا،
وبالتالى يستطيع أ، يقدمها كهدية يسيل لها لعاب الملك.

والطريف أن هذا الرجل الثرى عندما خرج عن حدود الدور المرسوم، وبدأ يلقي على ما مع كاميليا كلمات الحب ويطلب مقابل خدماته، ألقى القبض عليه بتهمة الاتجاه فى المخدرات، وكتب البعض أن الرجل كان يتاجر بالفعل فى المخدرات وأنه كان مسكوت عنه مقابل خدمة "تلميع" كاميليا، وأنه عندما تجاوز حدوده، تم التعامل معه بالقانون الذى كان نائماً!

وتعرفت كاميليا بسرعة على رجل آخر، حاول إرضاءها وتلبية مطالبها الكثيرة، وإنتاج فيلم لها، فاختلس مبلغاً كبيراً من المال، وانكشف أمره، فدخل السجن هو الآخر!

علقت كاميليا على ذلك بأنها لم تطلب من أحد الاختلاس من أجلها!! وتعددت صداقات كاميليا بين مخرجين ومنتجين ورجال مال، وراحت تنتقل بينهم، بدون مشاعر حقيقية، بل كل ما فى الأمر أنها كانت تسعى وراء المال والشهرة والمغامرة!

ومرض أحمد سالم بعد أن رأى التمثال الذى صنعه يتمرد عليه... ولم تأبه "المغامرة" بذلك، بل راحت تتفق

المال الذى جمعته على القمار، فأدمنت لعب الورق
والمراهنة على سباق الخيل، وتعودت على السهر، وعشقت
السفر .

* * *

أما عن علاقة كاميليا بالملك فاروق فإننا نترك
الكاتب مصطفى أمين يحكى عنها كما جاءت فى صفحات
كتابه "ليالى فاروق" الصادر عام ١٩٥٤...

يقول مصطفى أمين عن قصة اللقاء الأول بين
فاروق وكاميليا: "ذات ليلة ذهب أحمد سالم إلى الأوبرج
بشارع الأهرام ومعه كاميليا، ورأى أحمد سالم الملك فاروق
جالساً إلى مائدة فى الصف الأول ولاحظ أن مائدته فى
الصف الأخير وتضابق أحمد سالم وحاول أن يجد مائدة
بالقرب من فاروق، فوجد كل الموائد محجوزة.. وكان أحمد
يعتقد أن فاروق يغار منه وقد روى مرة أن فاروق رآه يقود
سيارة "ألفا روميو" فوجد فاروق يعدو بسيارته فى طريق
الملكة نازلى ليعرف من هو راكب السيارة، فأسرع أحمد
سالم بسيارته ليغيظ فاروق وأسرع فاروق وراءه إلى أن
سبقه وكان أحمد سالم مريضاً كفاروق بحب الاستعراض

فأراد أن يغيب فاروق بأن يجعله يراه مع الكوكب الجديد كاميليا، وكان أحمد يكره الرقص ولكنه انتهر فرصة عزف الموسيقى لرقص الفالس فسحب كاميليا من يديها وقال لها: تعالى نغيب فاروق!

وراح أحمد سالم يلف كاميليا أمام فاروق وتعمد أن يضم كاميليا إليه بشدة وهو يرقص وينحنى عليها ويدور بها ويداعبها ويلاعبها، وكأنه يخرج لسانه للملك فاروق! وانتهى الرقص وعاد أحمد سالم وكاميليا إلى المائدة. وقال أحمد سالم: لن ينام فاروق الليلة، هذه أول مرة يرى فيها فاروق امرأة جميلة ولا يستطيع أن يأخذها!

هذه هي رواية الكاتب مصطفى أمين ولكن الكاتب ثروت فهمي له رواية أخرى (مجلة آخر ساعة) فهو يؤكد على أن اللقاء الأول بين فاروق وكاميليا كان في قبرص وليس في الأوبرج، فقد كانت في رحلة إلى قبرص وتقيم في فندق "مخوزست بارك" وذات يوم كانت مع صديقين قبرصيين وحدث هرج ومرج داخل أروقة الفندق وعندما سألت عن السبب قيل لها أن ملك مصر سيحضر إلى الفندق لقضاء بعض الوقت وجرت بقية الوقائع على النحو التالي:

"منذ اللحظة الأولى التى وقع فيها نظر فاروق على كاميليا أصبحت محط نظره، وفوجئت كاميليا بصديقتها زوجة أحد المليونيرات تجئ إليها وتطلب منها أن تلحق بها فى الصالون بعد الشاي، عندما لاحظت دهشة كاميليا قالت لها: إن مولانا والحاشية سألوا عنها، وتقدمت كاميليا لمصافحة الملك، فقام فاروق لمصافحتها وسألها: اسمك إيه يا مدموازيل؟ فقالت: كاميليا.. قال: أهلاً وسهلاً.. أنا سمعت فعلاً عن ممثلة جديدة اسمها كاميليا.. وسألها مع مين بتمثلى؟ قالت: مع أحمد سالم.. قال: وبتمثلى إيه فى قبرص، قالت.. الحقيقة عاوزة أهرب من أحمد سالم لأنه راجل شرانى وأنا موش متعودة على الشر وأدعو الله أن يرسل لى من ينجينى من شره، فقال الملك، ارجعى مصر وأحمد سالم موش حيكلمك كلمة واحدة! وطبعاً طلبها الملك للسهر إلى جواره على منضدة القمار، ولبت هى النداء.

وتمضى الأيام وتعود كاميليا إلى مصر، كما يعود الملك، وتتلقى مكالمات تليفونية من شخص يدعى أنه من شركة إنتاج سينمائى ويحدد معها موعداً فى اليوم التالى، ويرسل لها سيارة وفى داخل السيارة تكتشف أنها تجلس إلى

جوار "بوللى" سكرتير الملك للأشياء الخاصة جداً، وتذهب معه فرحة بأن الملك مازال يتذكرها وتعود من قصر عابدين وهى مصابة بالزكام!

ويؤكد الفنان رشدى أباطة فى مذكراته على أن الملك كان يحب كاميليا بجنون، ولذلك سيطرت عليه سيطرة كاملة، بل إنها تعمدت أن تقيم مع آخرين علاقات عاطفية لتلهب بها عواطف الملك، وانتشرت حكايات بين مجتمع الصالونات بأن كاميليا قد حملت من الملك فاروق وأنه يعتزم الاعتراف بالوليد فى حالة كونه ولداً حتى يرث العرش، ولكن كاميليا خيبت أماله عندما سقطت من فوق الحصان لتجهض وهى فى الشهر السادس من الحمل.

* * *

هل كانت كاميليا حقاً عميلة للمخابرات الإسرائيلية "الموساد"؟!

- الحقيقة أن رأى حول تلك النقطة قد انقسم ما بين مؤيد ومعارض، بالفريق الذى اتهم كاميليا بالجاسوسية قال: إنها عضو نشط فى شبكة التجسس على الملك وعلى الأوضاع السياسية فى مصر فى فترة مهمة من فترات

الصراع العربي الإسرائيلي، مستنداً إلى علاقة كاميليا الخاصة جداً بالملك فاروق الذى كان يدللها ويناديها باسم "كامى"! فقد كانت كاميليا تكبر فاروق بشهر و ٢٨ يوماً، فهى على الأرجح - من مواليد ١٣ ديسمبر عام ١٩١٩ وليس ١٩٢٩ كما يقول البعض، لأنها ماتت محترقة فى حادث طائرة يوم الخميس وتحديداً فى الساعة الأخيرة من ذلك اليوم الموافق ٣١ من أغسطس عام ١٩٥٠ وليس معقولاً أن تكون توفيت عن ٢١ عاماً فقط رغم كل ما عاشته من أحداث.

وتغلغلَت كاميليا داخل عقل ومشاعر الملك حتى أنها عرفت قرار طلاقه من الملكة فريدة قبل إعلان الخبر رسمياً، وعلى هذا فقد توافرت لها الظروف التى تجعلها على دراية بأدق الأحداث والتفاصيل داخل القصر أكثر من أى شخص آخر، كما أنها اقتربت واخترقت دائرة مجتمع رجال السياسة والمال، معتمدة على أنوثتها الطاغية وموهبتها فى استقطاب الرجال!

فها هو حنفى المحلاوى فى كتابه "فنانات فى الشارع السياسى" يؤكد على أن كاميليا كانت عميلة من الدرجة الممتازة وأنها كانت مرتبطة بالموساد فى الفترة من عام

١٩٤٨ وحتى وفاتها عام ١٩٥٠، أما أستاذ التاريخ دكتور محمود متولى فيقول: إن كاميليا كانت مزودة ببعض التعليمات من الوكالة اليهودية، في تل أبيب، وكان في استطاعتها السفر في أى وقت تحت ستار عملها بالتمثيل، كما أنه يحدد "قبرص" كمكان لالتقائها مع عملاء الوكالة اليهودية، كما أنه لا يستبعد أن تكون أخبار سير العمليات القتالية في فلسطين التي كانت تحت بصر فاروق تصل إلى كاميليا أثناء علاقتها به التي امتدت من عام ١٩٤٦ وحتى نهاية عام ١٩٤٩ بل إن أكثر من ذلك يرى الدكتور محمد متولى أن كاميليا كانت أيضاً عضواً في شبكة الإساءة إلى مصر حيث كانت تقوم بتصوير الأحياء الشعبية الفقيرة بشكل غير لائق.

هذا عن المؤيدين جاسوسية كاميليا، أما المعارضين فهم يعتقدون بأن الملك فاروق هو الذى أشاع هذه التهمة عنها عندما مل الحياة معها وأراد أن يتخلص منها(!؟). وأكثر من هذا أن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن فاروقا هو الذى دبر لها حادث الطائرة عندما اكتشف أنها تخونه مع غيره من الرجال.

وقالوا إن سلاح الطيران الملكى لم يقم بالبحث عن الطائرة المفقودة داخل الأراضى المصرية، والتي تم الكشف عنها محترقة عند مدينة الدلنجات بمحافظة البحيرة، ولكن كيف وقع الحادث منذ البداية؟ كانت كاميليا تشعر بالآلام متكررة فى معدتها وأرادت أن تطمئن على صحتها وتعالج هذا المرض، فاتصلت بواحد من أشهر الأطباء الأجانب، الذى أعطاها موعداً بعد يومين، واتصلت بشركة طيران "T.W.A" وطلبت حجز تذكرة فى أقرب وقت ممكن، ولكن موظف الحجز اعتذر لها بأ، العدد مكتمل على الرحلة القادمة، إلا أنها قابلت اعتذاره برد عنيف، فكيف لا تجد مكاناً على الطائرة وهى النجمة اللامعة التى عرفت طريقها إلى العالمية عن طريق المنتجين اليهود فى الفيلم الإنجليزى "طريق السموم" وأغلقت السماعه وذهبت لتسهر مع مجموعة من الأصدقاء منهم المطرب الراحل فريد الأطرش، فلاحظ الجميع عليها الحزن والوجوم، وعندما سألوها عن السبب أخبرتهم ما حدث لها مع شركة الطيران، ولكن سرعان ما دق الهاتف وكان المتحدث هو نفسه موظف شركة الطيران الذى قام بمحاولات عديدة حتى عرف بمكان وجودها،

وأخبرها فى سعادة بأن أحد الركاب قد اعتذر عن عدم السفر على الرحلة (كان هذا الراكب هو الكاتب أنيس منصور) وأنه الآن أصبح باستطاعتها السفر على الرحلة التى ستتحرك من مطار القاهرة فى مساء اليوم التالى، وهلت كاميليا من الفرحة وذهبت إلى منزلها لتستعد للسفر بعد أن قامت بتوديع أصدقائها، ومن الأفضل الآن أن نقرأ هذا الخبر الذى كتب قلم الكاتب محمد حسنين هيكل فى أخبار اليوم فى العدد الصادر يوم ١٩٥٠/٩/٢، كتب يقول: بدأت قصة الرحيل فى الساعة الثانية عشر والنصف صباح يوم الخميس ١٩٥٠/٨/٣١ بهبوط طائرة T.W.A التابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية وقد ركبت كاميليا مع ستة ركاب من مطار القاهرة وأقلعت من المطار وكان آخر اتصال لها عن طريق اللاسلكى فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً، وانقطعت الأخبار بعد ذلك، وسقطت الطائرة وسط الحقول وتحملت الجثث، وقد قرر الطبيب الشرعى الذى عاين جثة كاميليا أن سبب الوفاة كان الجروح النارية وما صاحبها من صدمة عصبية وكسور فى عظام الساقين..

أما أغرب ما فى الحادث أنهم لم يجدوا شيئاً من
متعلقاتها سوى خاتم سوليتير قيل أنه مهدى لها من شخصية
حاكمة - على الأرجح هو الملك فاروق نفسه الذى اتهموه
بتدبير الحادث - والشئ الثانى هو "فرده حذاء" من الستان
الأخضر بلون الفستان الذى كانت ترتديه..!

من دبر الحادث؟

من قتل كاميليا؟

ما هى انتماءاتها؟

هل حقاً كانت على صلة بالوكالة اليهودية؟

أم كانت مسيحية متدينة كما يزعم البعض؟

هل كانت عميلة للموساد؟

هل أحببت مصر التى شربت من نيلها وأعطتها

الشهرة؟

ماذا كانت تريد بالضبط؟

أسئلة عديدة مانت إجاباتها عند لحظة احتراقها مع

حطام الطائرة..



برلنتى عبد الحميد

و

الزواج من المشير

”وبعد ساعة دق جرس الباب ودخل رجلان،
ودارا فى أنحاء الشقة بتفحصانها، يدرسان:
مداخلها ومخارجها، بينما جلست هى
والكاتبة” فى انتظار الشخصية المجهولة
المثيرة. والسيدة برلنتلى فاتهما أن تصف
شعورها فى هذه اللحظات...”

ولدت بحى باب الشعرية المزدحم فى بيت كان يعيش فيه الأب والأم إلى جوار الجد، إلى أن انتقلت الأسرة - وهى فى الرابعة من عمرها - إلى حى شعبي آخر لا يقل ازدحاماً هو حى السيدة زينب رضى الله عنها، وبعيداً عن منزل الجد الذى كان والدها ابنه الوحيد.

ووسط الأماكن المزدحمة كثيراً ما يبحث أصحاب الطموح عن التميز وإثبات الذات.

وكان جدها هو أحد كبار المتصوفة اسمه الشيخ محمد حسن على حواس، وكان من مشايخ الطرق الخليلية، وحسب ما تذكر السيدة "نفيسة" التى اشتهرت فى الفن والمجتمع باسم "برلنتى" فإن جدها له مقام فى جامع سيدى "الطشطوشى" فى حى باب الشعرية.

والطريف: إنها تقول أنها فهمت من جدها "أن الرجل المسلم هو "الجنّلمان" الحقيقى بالمعنى السائد فى هذا العصر، والطريف هنا هو لفظ "الجنّلمان" وهو لفظ شديد الحداثة و"الفرنجة" إن صح التعبير!

وفى حى السيدة عرفت "عقولا شامخة، وأناسا ذوى
عقول منحطة، وعرفت الجوع والشبع، والفقر والغنى،
وعرفت التحدى والتسليم" ..

والحقيقة أن تعبيرات السيدة برلنتى تعبر عن
أحاسيس وتجارب اختارت لها الألفاظ الدقيقة والصريحة،
التي تعبر عن حالة الزحام التي تكون عليها الأحياء الشعبية،
فالاختلاط هو السمة الواضحة فى هذه المجتمعات اختلاط
القيم الأصيلة التي تمثل وضوح المنازل من الأعماق أمام
المارة فى شمس النهار، ببعض الفساد الذى تشهده الحارة فى
ظلمات الأزقة والطرفات.

فى هذا الحى تعرفت السيدة برلنتى على طبيب شاب
كان يسكن فى البيت المقابل لمسكن أسرتها، كان فتياً وسيماً،
رأته ذات يوم محمولاً على الأعناق بسبب إدمانه المفاجئ
للخمور! وكان هذا سبباً كافياً فيما تذكر لابتعادها عن الخمر
طوال حياتها.

وفى أول كشف من جانبها عن تطلعاتها المشروعة،
كان فى إطار بحثها عن مدرس يساعدها فى فهم الدروس
المدرسية، وتطوع ابن خالتها فرشح لها موظفاً فى مصلحة

البريد حاصل على ماجستير فى العلوم السياسية والمالية،
وقال لها: إن عمه هو "محمد حسنين هيكل باشا" ورغم ما
سبق وأعلنته من كرهها للخمر فإنها علقت على ذلك الترشيح
قائلة: "أسكرتنى هذه الصفة فيه.." وتضيف بعد ذلك قائلة:

"كان عالم الباشوات بالنسبة لى عالماً أسطورياً، وأن
يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا أمر يهز الوجدان".

وربما تكون العبارة لها دلالتها فى فهم ميل السيدة
برلنتى المبكر إلى عالم السلطة والنفوذ بما تمثله "الباشوية"
المسكرة إلى هذا الحد.

ثم تحكى هى بعد ذلك عن مدى اهتمامها بهندامها،
وزينتها، وبنظافة حجرة الجلوس ومدخل الشقة انتظاراً
للمدرس قريب الباشا!

ولكن الغريب - رغم كل هذا الاستعداد السابق -
تقول: إنها استقبلته بثياب ممزقة بالية، وأنها صافحته وهى
فى حالة يرثى لها، وأنها تقدمت وهى حافية القدمين، مباللة
الوجه بالعرق (تماماً كما يحدث فى بعض الأفلام العربية،
ولكنها لم تجده كما تخيلته فارع الطول، بالغ الأناقة
والوسامة، بل إنه كان رجلاً فى ثياب عادية، قصير القامة،

ضامر الجسم كان هذا الشاب "مصطفى هيكل" كما اكتشفت
هى بعد ذلك أنه واسع الإطلاع، عظيم الثقافة، باختصار لقد
حرك هذا الشاب عقلها وقلبها وبدأت ترد على ذهنها أسئلة
دينية فلسفية، جاء فى مقدمتها سؤال "من هو الله" سبحانه
وتعالى.

وهو السؤال الذى لم تلقه على مصطفى هيكل، بل
انتهزت فرصة وجود جدها فى زيارة لهم، ثم وهى تدعك
قدميه نظير قرش لكل قدم، سألته، فقال لها بكل خشوع
الحديث القدسى: "كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت
الخلق فيه عرفونى".

واستمرت العلاقة بين السيدة برلنتى وبين مصطفى
هيكل الذى بدأ يمدّها بالكتب لتقرأها ثم يتناقشان فيها فى
لقاءاتهما المتعددة فى حديقة الأزبكية، ورغم أن المكان
رومانسى إلا أن المقابلات كانت ثقافية.

وتذكر أنها قرأت بعض أعمال كارل ماركس (ومنها
كتابه الشهير رأس المال) وانجلز، وأكثر الكتب التى أثارت
اهتمامها كتاب "الأم" لمكسيم جوركى.

والحقيقة أن السيدة برلنتى تقفز من هذه الذكرى إلى
واقعة تذكرها فى شجاعة نادرة، عندما سألتها المشير عامر -
بعد زواجهما فيما بعد - وهى تتحدث عن هذه الكتب متباهية
بقراءتها:

- "هل قرأت القرآن؟".

- فتقول واصفة تلقيها للسؤال: ولا أدري لماذا
انتابنى الخجل وأنا أرد عليه بالنفى " فألقى سؤالاً آخر: لعلك
أيضاً لم تقرئ شيئاً عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
فأجابت بما يفيد النفى.. وحاول مصطفى هيكى
إشراكها فى عملية توزيع المنشورات، إلا أن ارتباكها حال
دون استمرارها فى العمل السرى، فأشار عليها بدخول
المعهد العالى للفنون المسرحية قسم "تقد" وهناك رآها
المرحوم زكى طليمات الذى حول اتجاهها إلى قسم التمثيل
و(بالصدفة) غابت البطلة التى ستقوم بدور البطولة أمام عبد
الغنى قمر (الطالب وقتها) فى امتحانات السنة النهائية واختار
زكى طليمات السيدة برلنتى لتقوم بالدور إنقاذاً للموقف،
و(للصدفة) كان المشهد الأول فى ديكور غرفة نوم وبملابس
إغراء - إلى حد ما - فهاج الطلاب - الشباب - علت

أصواتهم بالصفير وشاعت بعض الفوضى وأغلق الستار،
ليهدد زكى طليمات (عميد المعهد وقتها) بإلغاء العرض إن
عادوا إلى الصياح. وفتح الستار مرة أخرى بعد أن أصبحت
أعصاب السيدة برلنتى "أهدأ" مما ساعدها على الاندماج على
حد تعبيرها.

وهى تقول فى مذكراتها "وزاد من سرورى أن
الأستاذ زكى هنأنى وامتح تمثيلى، وأحسست بالزهو فإنها
أول مرة أحظى فيها بالتقدير الجماهيرى، وهذه نشوة لا
يعرفها سوى من ذاق حلاوتها..."

وبدأ نجمها فى الصعود بسرعة الصاروخ، لدرجة
أنها حصلت على بطولات سينمائية وهى لازالت طالبة
بالمعهد. وبعد الشهرة أصبح لها أصدقاء متميزين من
الصحفيين والمثقفين والكتاب، فكانت تعقد لهم صالوناً
إسبوعياً - كل خميس - فى بيتها، وكان من بين المترددين
على هذه الندوات أحمد بهاء الدين، أنيس منصور، الصحفية
الراحلة نجاح عمر، وزوجها الكاتب الصحفى محمود
المراغى، الكاتب والفنان عدلى فهيم، الرسام حجازى

والصحفية مهجة عثمان وكثيرون ممن تقخر الحياة الثقافية بهم (ص ٢٦ من كتاب المشير وأنا).

واتسعت دائرة معارفها شتلم الأجانب من الفنانين والفنيين، وتلبية دعوات سفارات إلى أن حدثت لها هذه الواقعة:

كانت مدعوة إلى حفل إقامة سفير الهند فى منزله بالزمالك تكريماً لفتصل أمريكا فى القاهرة، ولضيق الوقت فقد ذهبت إلى الحفل بماكياج دورها فى أحد الأفلام، وصادف ذلك ترحيباً من الأجانب حتى أنهم هللوا لها:

"هالو.. برلنتى عبد النيل!"

وبينما الكل يتزاحم من حولها، إذا برجل يقترب منها هامساً: أنا فلان الفلانى (مخابرات)!

ولأنها لم ترد لنفسها أن تكون فى موضع شبهة من هذه الطريقة الهامسة، وخاصة أن بعض الأجانب الحاضرين يلمون باللغة العربية، فما كان منها إلا أن صاحت باللغة الإنجليزية: وما شأنى أنا بالمخابرات.. إننى فلانة ولا دخل لى بالسياسة!"

وانتهت الحفلة، وبعد عودتها إلى البيت مباشرة، تلقت مكالمة هاتفية من صوت رجل رقيق مهذب - على حد وصفها - يقول أنا "صلاح بدر مدير المخابرات الحربية، وطلب منها بعد أن وصفها بالوطنية، أن تكتب "تقارير" عن أى شئ تسمعه أثناء وجودها مع رجال السلك الدبلوماسى.

إلا أنها رفضت، فاستئذنها فى أن يعاود الاتصال بها مرة أخرى، فرحبت بذلك. وهنا تقرر السيدة برلنتى إنها كانت المرة الأولى التى تتعرف فيها على رجل مخابرات، وإنها اندهشت لكون رجل المخابرات الذى تعرفت عليه فى تلك الليلة "رجل رقيق خجول"، وكان الرجل هو (صلاح بدر) مدير المخابرات الحربية!

ولكن يبدو أن شخصية السيدة برلنتى عبد الحميد، التى أطلق عليها الأجانب لقب "برلنتى عبد النيل" - كما نقول - كانت شخصية رأت فيها المخابرات نموذجاً من طراز ممتاز للاستفادة من علاقاتها الواسعة لا سيما بالأجانب.

فها هى تتلقى عرضاً آخر بعد أيام من المكالمة السابقة، تطالب منها محدثتها التى تصفها "بالكاتبة الدينية المعروفة" أن تستقبل شخصاً يريد زيارتها.

- وعندما سألتها: ومن هو؟

- قالت إنه شخصية مهمة، أحد المسؤولين،

فما رأيك؟

- ولماذا يريد أن يزورنى؟

- لا أعرف، هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقت

على الزيارة.

- قلت فى النهاية: "لا مانع فليتفضل" ثم عادت

الكاتبة تسأل: هل لديك مانع أن أتى معه.

- أبدأ أهلاً وسهلاً (ص ٢٩ من نفس المصدر).

وبعد ساعة دق جرس الباب، ودخل رجلان ودارا

فى أنحاء الشقة يتفحصانها، يدرسان مداخلها ومخارجها،

بينما جلست هى و"الكاتبة" فى انتظار الشخصية المجهولة

المثيرة، والسيدة برلنتى فاتها أن تصف شعورها فى هذه

اللحظات، هل هو الرعب أم الانتظار والترقب، أم بعض

الاستمتاع بهذا الجو المثير الذى يشبه المشاهد المتقنة فى فيلم

من أفلام الجاسوسية التى لم تكن قد عرفتھا السينما المصرية

هذا الوقت؟

ولم يمض وقت طويل حتى دق جرس الباب مرة أخرى، وظهر رجل ممتلئ قليلاً مبتسم الوجه، وبعد الترحيب به أعدت له السيدة برلنتى الشاى بنفسها بعد انصراف الشغالة وبدأ الرجل فى الدخول إلى الموضوع مباشرة، ومن الأفضل أن نقرأه بنفس ألفاظ وعبارات السيدة برلنتى:

- نحن نعرف يا مدام برلنتى أنك نجمة محبوبة، وأن كثيراً من الأجانب المهمين المقيمين فى مصر يحبونك ويصادقونك ويهمنا حقاً أن نتعاونى معنا.

- سألته: ومين حضرتك؟..

- بدت الدهشة على وجهه، ثم تساءل بأدب: ألا

تعرفين صلاح نصر؟

- لا .. لا أعرفه.. يعنى بتشتغل إيه حضرتك؟

ضحك الرجل وهو يتقرس فى وجهى غير مصدق

ثم قال: صلاح نصر مدير المخابرات.

- ولكن مدير المخابرات اسمه صلاح بدر!!

- قال: صلاح بدر مدير المخابرات الحربية.. لكن

أنا مدير المخابرات العامة ثم أوضح لها أن عمل المخابرات

العامة ينحصر فى نطاق الأجانب، ومكافحة شبكات

الاجاسوسية التى تستهدف الإضرار بمصلحة الوطن، ثم كرر نفس طلب "صلاح بدر" وهو كتابة "تقارير" عن كل ما تسمعه أو تستشعره من الأجانب وكيف يفكرون، ثم أضاف إن ذلك لن يستغرق منها أكثر من دقائق!

وألقى صلاح نصر بمهارة بأول إغراء أمامها، عندما دار نظره فى أرجاء الشقة الصغيرة قائلاً: هذه الشقة صغيرة - ولا تناسبك.. سوف نعطيك شقة كبيرة ونؤثثها لك بشكل فاخر!

وعندما أبدت رفضها، ألقى بالطعم الثانى:

- ستكونين فى أمان تحت رعايتنا، وإذا حدث وتهددك أى خطر فنحن سنقوم بحمايتك منه، فإنك لن تدركى إن كان هناك خطر أم لا.

وهذا هو ما تستطيع أن تقدمه السلطة، إنها تعد بالحماية، وحتى لو لم تعد بذلك فإن الذين يتطلعون إلى علاقات خاصة مع السلطة، يدركون أن تلك بالنسبة لهم من أكبر المغريات، إنها "حصانة" من نوع خاص، تفوق تلك الحصانة الممنوحة لبعض أعضاء الهيئات البرلمانية والدبلوماسية، فهي حصانة مستترة إن صح التعبير، حصانة

غير مرئية نتيج للمتمتع بها نفوذاً يفوق قدراته، ويفوق وضعه ومكانته الطبيعية، وهذه فى رأينا هى نقطة الضعف الأولى التى ينفذ منها القائمون على (تجديد) مثل هذه العناصر.

وتؤكد السيدة برلنتى عبد الحميد على أنها رفضت العرض من أساسه - بدعوى أنها تخدم وطنها عن طريق الفن، وأنها لا تعرف السياسة.

فى حين قرر صلاح نصر أن المسألة ترجع إلى اختيارها، وأنه شرح المميزات وعليها هى أن تختار، ثم طلب السماح له بالاتصال بها من وقت لآخر حسبما روت هى.

ولكن ما رأيكم أن نسمع الرواية بشكل آخر وبنهاية أخرى من المهندس حلمى السعيد الذى كان على رأس فريق التحقيق فى القضية التى اشتهرت باسم "قضية انحراف جهاز المخابرات العامة"، الذى يؤكد فى مذكراته على أن السيدة "تون" وشهرتها الفنية "باء" وللقارئ الذكى وحده حق اكتشاف إذا كان هناك تشابه بينون والسيدة برلنتى التى كانت على علاقة بأحد قيادات الجهاز، وكان لها أصدقاء أجنب، وأنها

قد وُقعت إقراراً عام ١٩٦٠ لتكون مندوبة للمخابرات.. وأن جميع زملائها في الوسط الفني يعلمون علاقتها بالمخابرات وبقياداته.

والحقيقة أن المرء يتحير أى الروايات يصدق، فصحيح أن التاريخ لا يكتب مرة واحدة، ولا من خلال وجهة نظر واحدة، إلا أن هذا التضارب في الروايات يباعد بيننا وبين الحقيقة ولو مؤقتاً!

هذا إذا كان هناك ربطاً بين السيدة نون والسيدة برلنتى(!)

الشق الثانى فى حياة السيدة برلنتى بالسلطة هو علاقتها بالمشير الراحل عبد الحكيم عامر، الرجل الثانى بعد عبد الناصر فى هذه الفترة، ورغم أن حلمى السعيد يشير إلى أن المخابرات العامة هى التى قدمتها إلى المشير (هو لم يذكره بالاسم) فى عام ١٩٦٢ فى إحدى الفيللات الآمنة، فى حجرة معتمة ولما قامت هذه الشخصية (المشير) بإشغال سيجارة عرفته السيدة (نون) الشهيرة بـ(باء)، إلا أنها تذكر الواقعة بشكل مختلف، فقد سبق هذا اللقاء، لقاء آخر لمجموعة كانت وظيفتها تعريف "اللى فوق بملاعب وأوجاع

اللى تحت" ولا ندرى هل هذا هو دور "مخايراتى" مثلاً؟
ورغم ذلك فإن السيدة برلنتى تقول: إنها وافقت على الذهاب
لذلك الاجتماع الذى دعته إليه صديقة صحفية تعمل فى
مجلة روز اليوسف وقتها، والسبب أو لآخر اهتمت السيدة
برلنتى بزيبتها واختارت اللون الأبيض لملابسها، وحذاء ذات
كعب منخفض وتسريحة شعر جعلتها تبدو كطالبة أنيقة
ورشيقة!

وفى الاجتماع الذى تم فى أحد الفيلات فى الهرم،
التقت لأول مرة بالمشير عبد الحكيم عامر الذى رأس
الاجتماع لمعرفة أحوال الرعية من خلال هذه المجموعة
المنتقاة التى تجمع بين أبناء مهن ووظائف مختلفة.

وبعدها اتصل بها صلاح نصر مرة أخرى وذهب
بها لمقابلة "شخصيات مهمة"، وعندما أصرت على معرفة
هذه الشخصية قبل ذهابها، أخبرها بأنه المشير عامر، بشرط
أن تتظاهر أمامه بعدم معرفتها به، وهناك فى المكان المظلم
أخرجت هى سيجارة، وبغفوية أخرج المشير ولاعته فأشعلها
لها، فقالت له: إنه يشبه المشير عامر، فضحك ولم ينكر.

وتحدثت بعد ذلك السيدة برلنتى عن (اختبارات) عديدة وقالت: إن (أجهزة الأمن) قامت بها تجاهها بمباركة المشير، وتمثلت هذه الاختبارات فى عروض زواج وعروض تمثيل ومعاكسات بالذهب والمال، وفى النهاية قال لها المشير إنها نجحت فى الامتحان وإنها الآن أصبحت (عروسته) بعدما تأكد من أنه سيضع رقبته ومعها أسرار الدولة مع امرأة لا تشتري، بل إن صلاح نصر قال لها: إن المخابرات تعتبرك نظيفة، تليق بزوجة المشير (ص ٥٦). وتم الزواج، زواج الفن بالسلطة الذى يبدو أنه لم يكن زواجاً وردياً بين (الفنانة) برلنتى والنائب الأول لرئيس الجمهورية وقائد جيشها، فقد كانت العيون متربصة، والمشير حريص كل الحرص على أن يكون أمر الزواج فى أعماق بئر الأسرار.. أسرار الدولة، التى أصبحت الزوجة الجديدة شاهدة عيان على بعضها بحكم الوضع الجديد والمكان القريب.

لم تكن حياة وردية، لأنها كانت حياة شبه سرية إلا من بضعة أفراد شهدوا عليها وباركوها، ولكنهم اشتركوا جميعاً فى دفن أسرارها.. إلى حين!

والغريب أن السيدة برلنتى تؤكد على أن قمة السلطة وقتها متمثلة في الزعيم جمال عبد الناصر كانت على علم بعلاقة الزواج السرى بينها وبين المشير، وإنه قد زارهما في بيتهما ببرج العرب (الإسكندرية) وأنه لعب الورق مع المشير - في حضور ومشاركة أنور السادات - وهى تجلس بالقرب من المشير، وهو ما يعنى - إن صحت الواقعة - مباركة عبد الناصر لهذه العلاقة.

وتداخلت دوائر السياسة والسلطة، ربما كان (الطموح) هو مركز إحدى هذه الدوائر، ولكن للأسف فإن النتيجة التى نراها من هذا التداخل، هو احتراق الفنان بفعل لهيب السياسة، فلا هو حقق طموحه فى الشهرة والنجومية، ولا تخلص من السهام الصائبة التى تصوب إليه كلما دار حديثاً فى الفن أو فى السياسة!



ميادة الحناوى:

غيرة أم تجسس؟!

وهذه واحدة من القضايا التى شغلت رأى العام، كانت واحدة من همسات الوسطيين الفنى والصحفى لفترة طويلة، حتى خرجت من طى الكتمان المؤقت وأصبحت حديث الناس، بعد أن تجرأت أخيراً الصحف وناقشتها على الملأ وعبر صفحاتها.. إنها قضية المطربة ميادة الحناوى مع الموسيقار محمد عبد الوهاب، وهى من ناحية أخرى لا تغلو من حديث عن الفن .. المخابرات والسلطة!"

ميادة الحناوى من مواليد حلب عام ١٩٥٨، وكانت بدايتها من خلال المسرح المدرسى، وبدأت قصة تعارفها بالموسيقار محمد عبد الوهاب عندما التقت به فى فندق "بودان"، فاستمع منها مقتطفات، فنصحها بالسفر إلى القاهرة وكان ذلك عام ١٩٧٧، وصحيح أن بدايتها الفنية الحقيقية كانت مع آخرين وأولهم الموسيقار محمد الموجى، الذى استمع إليها فى دمشق بعد قرار ترحيلها المفاجئ من القاهرة، وقال الموجى عن صوتها إنه صوت سليم وطروب، ثم ذهب بليغ حمدى أيضاً إلى دمشق وقدم لها لحناً لأغنية "إيه يا هوى"، وكذلك ورغم مرض الموسيقار الكبير الراحل رياض السنباطى فقد وضع لها لحناً نفذته فى دمشق، وهكذا ورغم أن الخطوة الأولى كانت مع محمد عبد الوهاب، إلا أن الانطلاقة كانت من دمشق، ولكن ما يهمنا هنا هو التوقف أمام حقيقة العلاقة مع محمد عبد الوهاب الذى من الواضح أنه أحد أسباب قرار ترحيلها من مصر، كما أن تلك العلاقة

تلقي الضوء على أشياء كثيرة في حياة ميادة الحناوى الفنية
والشخصية.

عندما وجه الموسيقار عبد الوهاب الدعوة إلى ميادة
الحناوى. وهى لا تتجاوز السابعة عشرة من عمرها -
لزيارة القاهرة، وجدت ميادة التى كانت لها شقيقة أكبر تغنى
تدعى فاتن فى هذه الدعوة الفرصة لتحقيق طموحاتها فى
عالم الفن، فحزمت حقائبها على الفور مصطحبة والدتها
وشقيقها "عثمان" ورحلت إلى القاهرة..

وفى مطار القاهرة كان فى استقبال ميادة وأسررتها
مجدى العمروسى محامى شركة صوت الفن وأحد شركائها،
وبعد فترة توقفت السيارة التى نقلها أمام عمارة أنيقة بحى
الزمالك الواقع، وكانت فى انتظارهما بالشقة خادمة وسائق
خاص بناء على طلب من موسيقار الأجيال.

وأمام الباب - باب الشقة - سلم مجدى العمروسى
مفتاح الشقة إلى ميادة ومعه قضاصة ورق عليها رقم تليفونه
وتليفون الأستاذ (عبد الوهاب) قائلاً لها: أنا تحت أمركم فى
أى وقت تحتاجون إلى معونة...

وفى اللحظة نفسها رن جرس الهاتف، لتستقبل ميادة
أول مكالمة من عبد الوهاب، فقالت: أنت تعبت نفسك معاييا
قوى يا أستاذ!

- العفو يا هانم.. ده أقل واجب أقدر أقدمه
لنجمتنا الجديدة.

ميادة: ربنا يخليك يا أستاذ..

عبد الوهاب: ميرثى يا فندم.. وإذا عايزين أى شئ
أبعث لكم السواق بتاعى.

ميادة: لكن ده كثير يا أستاذ..

الأستاذ: أبداً يا فندم.. انتم معزومين على العشاء
الليلة.. وعلى مائدة الأستاذ العامرة اجتمعت الأسرتين، أسرة
عبد الوهاب وأسرة ميادة الحناوى، وبعد العشاء الفاخر
أعطاهما عبد الوهاب الدرس، قائلاً: دلوقتى لازم تروحي
تتأى بدرى علشان تصحى بدرى أيضاً، وكمان لازم تعمل
رياضة فى الصباح.. الشئ الثانى أنا مش عايزك تروحي أى
مكان إلا إذا ادتبنى خبر.. اتفقنا؟

وعند الجملة الأخيرة نتوقف، ونسائل هل هو اهتمام مبالغ فيه من قبل الأستاذ تجاه نجمته الساعدة؟ أم هي غيرة فنية خوفاً من تعاونها مع أحد غيره؟ لكن المؤكد في كل الأحوال أن هناك رعاية خاصة من جانب الأستاذ تجاه ميادة باعتبارها (مشروعه) الجديد، وعبد الوهاب عرف عنه الاستثمار الجيد لعلاقاته الفنية، من أجل أن تضيف إليه ولا تأخذ من رصيده إلا إذا كان العائد أكبر.

ولذلك أصر عبد الوهاب على توقيع عقد احتكار لمدة خمس سنوات مع اكتشافه الجديد، تكون خلالها "صوت الفن" هي المنتجة الوحيدة لأغانيها.

ورغم أن عبد الوهاب قد طلب من ميادة وأسررتها عدم الاتصال بالصحفيين أو الرد على أسئلتهم، إلا أن الأخبار بدأت تتسرب إلى الصحف الفنية المعروف عنها اهتمامها بأخبار الفن والمجتمع وكان واضحاً من الخبر الأول الذي نشر عن الصوت الجديد ميادة أنه يحمل نوعاً من "الدعاية" لاكتشاف الأستاذ الجديد، وجاء في الخبر الذي نشر بمباركه الأستاذ وجاء تحت عنوان "عبد الوهاب يكتشف

مطربة سورية" "اكتشف الموسيقار الكبير عبد الوهاب صوتاً نسائياً غنائياً نال إعجابه الشديد، وقال بعد أن استمع إلى صاحبتة وهي تغنى فى حفلة خاصة أنها مطربة على قدر كبير من الموهبة، وأنها لو احترفت الغناء لكانت من أبرز المطربات العربيات..

وصاحبة الصوت الجميل الشجى اسمها ميادة الحناوى، وهى حلبية الأصل، وشقيقة المطربة السورية المعروفة فائز الحناوى التى فازت بإحدى جوائز مهرجان الأغنية العربية الذى أقيم فى دمشق خلال الصيف الماضى (عام ١٩٧٦)..

وأضاف الخبر أن العقبة الوحيدة التى تقف فى وجه ظهور ميادة الحناوى هى أنها لا تحب أن تكون مغنية محترفة، وتفضل أن تظل هاوية غناء فقط، وإن كانت السيدة أمها تؤكد بأن ابنتها كانت تقول لها منذ طفولتها بأنها على استعداد لأن تحترف الغناء، إذا لحن لها أغانيها أو بعضها الموسيقار محمد عبد الوهاب...

ووصفها الخبر على النحو التالى "وبقى أن نذكر أن ميادة الحناوى تجمع بين جمال الصوت والأداء، وجمال

الشكل أيضاً، وهو ما لم يتوفر إلا للقليلات من المطربات العربيات.. (الموعد ١٩/١٠/١٩٧٧).

ومن الواضح أن الطريق كان يمهد لبذوغ نجمة جديدة في عالم الغناء، فماذا حدث بعدها؟

حتى ندرك ماذا حدث بعد ذلك علينا أن نبرز قصة تعارف ميادة الحناوى بمحمد عبد الوهاب، ففي البداية كانت شقيقتها فاتن الحناوى مطربة معروفة في حلب، ثم في سوريا كلها بعد انتقالها إلى دمشق وغائها في الإذاعة والتلفزيون السوريين، وكان من بين أصدقاء الأسرة السيد "عدنان الدباغ" الذى كان وقتها وزيراً لداخلية سوريا، وهو عاشق للفن، فاستمع إلى ميادة بطبيعة علاقته بالأسرة، فتحمس لها، وكان في ذات الوقت صديق حميم لمحمد عبد الوهاب، وكان يعلم بالطبع بمكان اصطيف عبد الوهاب في منطقة "بحمدون" ولكن الحرب الأهلية نشبت في ذلك الوقت، وارتفع صوت المدافع، وعبد الوهاب بطبعه القلق، الوسواس، لا يطيق صوت المدافع ولا يحب سيرة الحرب، فانتهر السيد عدنان الدباغ الفرصة ودعاه لقضاء بقية أيام المصيف في "بلودان" المصيف الهادئ الآمن، وعندما لى عبد الوهاب الدعوة،

وأخبر الدباغ عائلة ميادة هتفت ميادة على الفور: نفسى أقابله مرة! وافقت الأسرة وباركت رغبة ابنتها فى لقاء الأستاذ، وفى مكان إقامة الأستاذ، استمع إليها الأخير وهى تغنى بعض مقاطع لأم كلثوم وعبد الحليم حافظ، وبعض أغنيات سورية من فولكلور طروب، وبعض ألوان من الغناء اللبناني، كل هذا والموسيقار بيدى إعجاباً حقيقياً يزيد من حرارته ميل الأستاذ إلى المبالغة فى المجاملة.

سأله الدباغ فى نهاية الغناء: إيه رأى الأستاذ؟

- صوت جميل.. محتاج شوية تدريب وزخرفة..

* هل تمنحها شرف التدريب على يديك؟

- لكن.. دى مسألة تأخذ وقت.. مش فى يوم وليلة.

ومن هنا جاءت فكرة سفر ميادة إلى القاهرة

واستضافة عبد الوهاب لها.

ورغم التكتّم الشديد الذى كان يتعامل به عبد الوهاب مع الصحافة، حتى تكتمل مفاجأته، إلا أن الصالونات الثقافية والفكرية التى كان يعدها عبد الوهاب لصوته الجديد، بهدف الارتقاء بها ثقافياً من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يقدمها إلى صفوة المجتمع بهدف تحقيق الإجماع حول صوتها..

ففى صالون عبد الوهاب النقت ميادة بصفوة من أهل
السياسة والفكر: مصطفى خليل، سيد مرعى، مصطفى أمين،
محمد عبد القادر حاتم، إحسان عبد القدوس وآخرون، وبدأت
الأخبار تتسرب عن اللحن الذى يعده عبد الوهاب لميادة وهو
"فى يوم وليلة" كلمات الشاعر الغنائى الكبير حسين السيد، بل
وأن ميادة تسجل اللحن بالفعل بصوتها بمصاحبة عود
الأستاذ، وفجأة...

طارت ميادة إلى دمشق، وكان الخبر المعلن أنها
ذهبت لتتابع حالة والدها المريض ولكن....
بدون مقدمات أيضاً بدأ الأستاذ يصرح بأن ميادة
"صوت غير ناضج" وأنها ليست فى مستوى لحنه!
وكان هذا يتنافى مع تصريحاته السابقة!
واشتعلت ميادة غضباً، حتى ولو لم يكن التصريح
مفاجئاً لها!

وبدأ خبر مثير للتقزز ينتشر فى أوساط بعينها،
يتحرك ببطء ولكنه كان ينتشر رويداً، رويداً، انتشار النار فى
الهشيم.. الخبر يقول: إن ميادة قد تم ترحيلها بسبب خطرها
على الأمن القومى المصرى، ثم راح يظهر فى جرة أكبر

ليعلن أنها "جاسوسة ضد مصر وأن عملها هو جمع المعلومات السرية من أفواه مصادر معينة سياسية وفنية... هكذا بمنتهى البساطة، البنت الصغيرة التى لم تكمل عامها السابع عشر عميلة مخبرات!

وتتكشف الأمور أكثر أن القرار صادر من وزير الداخلية المصرى اللواء نبوى إسماعيل وأنه جرى استجواباً لميادة فى مطار القاهرة قبل ترحيلها!

ولم يعرف الناس شيئاً عن حقيقة علاقة ميادة الحناوى بالتخابر، حتى تم تجنيدها، ولا ما هى طبيعة المعلومات التى جاءت من أجلها فى فترة شهدت توتراً شديداً فى العلاقات بين مصر وسوريا، ولا ما هى الأخبار التى تمكنت بالفعل من الحصول عليها أو مصادرها فى القاهرة التى تعاملت معها... وإلى هنا لم تكن أية كلمة تقال عن دور عبد الوهاب فيما حدث!

إلى أن تطورت الشائعات وربطت بين قرار الترحيل وبين غيرة زوجية شعرت بها زوجة عبد الوهاب تجاه النجمة الجديدة، فكانت سبباً فى منعها من الغناء "قضى يوم وليلة" أين الحقيقة؟ لا أحد يعرف حتى الآن..

وتمر السنوات، ولأن الحقيقة لا تموت، وعندما تغيب الحقائق فإن الشائعات تولد، فبعد نحو ٢٢ عاماً من قرار الترحيل والشائعات التي تثار من حوله ورغم أنه سبق ذلك بتسع سنوات أن دعيت ميادة الحناوى - بدعوة من وزير الإعلام المصرى - لزيارة مصر والغناء فى أكبر مسارحها بمركز القاهرة للمؤتمرات، يعترف اللواء النبوى إسماعيل فى أحد البرامج على شاشة محطة عربية فضائية بأنه كان وراء منع دخول ميادة إلى مصر.. ومزيد من التوضيح للقصة الشائكة التى تصادم فيها الفن مع السياسة (السلطة) قال اللواء النبوى إسماعيل للصحفى اللامع وائل الأبراشى (روز اليوسف ٩٩/٨/٢٧) إن القصة فيها بعد أمنى وبعد إنسانى وبعد فنى والذى حدث أن الموسييقار الراحل محمد عبد الوهاب طالب أن يلتقى به لأمر حساس ومهم، وأنه بمجرد أن دخل مكتبه اكتشف أن عينيه شديدة الاحمرار وقال وهو يوشك على البكاء (بعد وصف وزير الداخلية الأسبق) أن السيدة نهلة القدسى سوف تتركه وتتفصل عنه لو ميادة الحناوى عادت إلى مصر مرة أخرى

وأضاف الأستاذ: أنا حيثُخرب بيتى لو ميادة الحناوى دخلت مصر، ولو نهلة سابتنى لن أتحمل وسوف أموت.

ويمضى اللواء النبوى إسماعيل فى روايته قائلا: إنه أخذ يبحث عن "قرار موضوعى" يستند إلى اعتبارات ومبنى على أساس، فكلف يبحث وضع ميادة الحناوى فى الملفات الأمنية، فقالت التقارير أنها صديقة لشخصية سياسية سورية كبيرة وإنها تعمل معه تحت ستار الفن للحصول على المعلومات المتعلقة ببعض الدول العربية وعلى رأسها مصر! وهنا يقفز السؤال: هل لو لم يبلغ عبد الوهاب بأن "بيتَه هايتُخرب بسبب ميادة كانت ستترك تمارس نشاطها العدائى" داخل مصر؟

مجرد سؤال..

أكثر من ذلك قال الوزير أنه تم تسجيل مكالمات لميادة مع شخص مصرى تحصل منه على أخبار ومعلومات ووصفت هذه المكالمات بأنها مكالمات "مش طبيعية" تتعلق بأمن وأحوال مصر.. وأضاف: إن هذه أمور نفهمها نحن كرجال أمن".

بعد ذلك يقول الوزير: إنه شعر بالراحة وأن ربنا "لم يكسفننى" وطلب عمل إجراءات منعها من دخول مصر. ولكن الغريب أن وائل الأبراشى عندما سأل وزير الداخلية التالى للواء النبوى عن أسباب استمرار قرار منع ميادة من دخول مصر فى عهده أيضاً قال اللواء أبو باشا: "طلب الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب مقابلاتى عام ١٩٨٢، وطلب منى منع ميادة الحناوى من دخول مصر - استمرار المنع - وقال لى: فيه جوانب فنية وشخصية وأمنية، وأن ميادة على اتصال ببعض الشخصيات التى لم تكن مواقفها واضحة وأضاف أبو باشا: لما يطلب عبد الوهاب حاجة زى كده من الطبيعى أن أقف بجواره وفيه مواءمة أمنية وقومية فى هذه القضية لذلك أنا وافقت على استمرار منع دخولها".

ولم يعجب هذا الكلام وائل الأبراشى وكتب مقالا هاجم فيه المسئولين الذين منعوا المطربة السورية ميادة الحناوى لمجرد أن الموسيقار محمد عبد الوهاب طلب منهم ذلك.

والحقيقة أن المرء ليتعجب من هذا المنطق، فهو يكثف الحالة التي نتناولها هنا وهي قضية الفنان والسلطة، فيبدو أن الفنان محتاج دوماً إلى السلطة لتدعمه وتقويه، في الفن وفي أمور الحياة، ولكن عندما يصطدم فنانين كلاهما على علاقة بالسلطة وبالنفوذ، فإن قانون الطبيعة سينتصر، وستكون الغلبة لمن استند إلى القوة الأكبر..

إننا لا نظن أن دفاع الفنانة ميادة الحناوى عن نفسها يفيد كثيراً في هذا المجال، فهي قد قالت كلاماً يبدو مقتعاً، وهو أنها إذا كانت متهمة بشئ فلماذا عادت وبهذه الدعوة الرفيعة المستوى، ولكن أخطر ما كشفت عنه ميادة الحناوى - في رأينا - هو أن المسئول السورى الكبير الذى اتهمت بالعمل لحسابه كان زوجها - فى السر - وأنها إذا كانت متهمة بالتخابر معه، فإن عبد الوهاب أيضاً كان على اتصال به بحكم صداقتهما.. ولكن لا يفوتنا أن نسأل: هل زواج ميادة من المسئول السورى الكبير ونحن فى سياق علاقة الفن بالسلطة - كانت من قبيل البحث عن دعم سلطوى، خاصة أنه من الواضح أن هذا المسئول هو الذى عرفها على الموسيقار محمد عبد الوهاب.

أيضاً فإنه من الممكن أن تكون ميادة - أو جزء من
قضيتهما على الأقل - سببها الجو المكهرب فى العلاقات بين
دمشق والقاهرة فى نهاية السبعينيات، وهو تصادم سلطتين
على مستوى كان ضحيتهما فنانة كنوع من الرسائل الساخنة
المتبادلة.

وهذا نموذج آخر للفنان عندما يستند إلى السلطة
نقوى من شأنه.

وإذا كان البعض قد أشاع أن المطربة وردة كانت
وراء خروج ميادة الحناوى من مصر، لتفوز وردة بأغنية
"فى يوم وليلة" وهو اللحن الذى كان قد وضعه محمد عبد
الوهاب خصيصاً لميادة ليكون نافذتها فى التعارف مع
الجمهور المصرى والعربى، واستند أصحاب هذا الرأى على
المقولة القضائية المعروفة التى تتادى بالبحث عن المستفيد،
إلا أن السيدة وردة الجزائرية نفت ذلك بشدة فى المقابلة
التلفزيونية التى أجرتها معها الفنانة صفاء أبو السعود،
وكانت وردة مؤثرة عندما أقسمت عبر البرنامج بأنها حتى
هذه اللحظة لا تعرف شيئاً عن الأسباب التى جعلت من عبد
الوهاب يمنع هذه الأغنية عن ميادة، ثم يمنحها لها - أى

وردة - وأنها لم يخطر ببالها أن تسأله عن هذه الأسباب.
وأضافت وردة أنها تعلم بالطبع أن أغنية "في يوم وليلة"
كانت معدة لتغنيها زميلتها ميادة (التي أشادت وردة بصوتها)
ولكنها تساءلت:

هل أنا أستطيع أن أقنع عبد الوهاب بكل ما يمثله من
ذكاء وقوة بأن يجعل ميادة تغادر القاهرة كلها ليمنحني
الغنى؟!

من طريقة كلام وردة نستطيع أن نستبعد هذه
الرواية، ولكننا مازلنا في حاجة لأن نسمع أطراف أخرى في
هذه الواقعة التي تضاربت فيها مصالح الفن مع قوة السلطة.
ولكن يبقى السؤال قائماً: ما هي المصلحة المشتركة وعن أي
شيء كان الدفاع أو حتى الهجوم؟



عبد الحليم حافظ..

ماذا أعطته السلطة؟!

”أى صدفة هذه التى كانت فى انتظار هذا الفتى النحيل، أى صدفة تلك التى جعلت بدايته تتزامن مع بداية عصر جديد فى مصر.. صحيح أن علاقة حليم وناصر لم تكن قد ولدت بعد، ولكن علاقة أكبر كانت قد بدأت.. إنها علاقة عهد جديد وأسلوب جديد...“

فقد حليم حزن أمه قبل أن يراها.. وعندما شب
احتضنته مصر.. لم يعرف كلمة (أبى) ولم تمهله الأقدار لأن
يقولها ويحسها.. وعندما نضج وجد نفسه ابناً لكل
المصريين، لدرجة أن احتضنه عبد الناصر زعيم الثورة
نفسها.

افتقد حليم وجود (الحبيبة) فإذا به يصبح فتى أحلام
كل الأجيال! فهل كان (اليتيم) وعذاب الحرمان هو الدافع -
أو العامل المساعد - الذى ألقى بحليم فى أحضان (ناصر)
الذى كان بمثابة الأب البديل، لا الزعيم المغوار؟
ملاحظة ينبغى التوقف عندها وتحليلها من جانب
المتخصصين، فقد كان اليتيم هو سر من أسرار جاذبية هذا
الفتى الموعود بالعذاب...

وفيما عدا ذلك فإن الفترة السياسية التى بزغ فيها
نجم حليم وما شهدته من تحولات سياسية واجتماعية
واقتصادية، ساهمت دون شك فى صناعة ظاهرة العنديل،
فقد وجدت الثورة منذ البداية فى حليم الصوت المختلف الذى

يمكنه أن يكون معبراً عنها، وفي اعتقادنا أنه لو ظهر حلیم قبل خمس سنوات فقط من تاريخ ظهوره ربما لم يكن قد قابل كل هذا النجاح، ولكن أيضاً فإن سر نجاح حلیم هی عبقریته فی أن يستوعب الدور المطلوب منه، حتى أنه التحم بالثورة التحاماً كاملاً، ولكنه لم يكن مجرد "كورس" لصوت الثورة، بل كان واحداً من الضباط الأحرار بغير ملابس عسكرية أو رتبة قيادية، ففي توجهاتهم واستوعبها جيداً، والأهم أنه آمن بها، ثم ساعدته الظروف بمؤلفين عباقرة مثل جاهين والأبنودي وملحنين ثوريين مثل الموجي وكمال الطويل.

ومع شعار "التغيير" الذي رفعته الثورة منذ البداية، كانت هناك حاجة في أن يكون للثورة مطربها وصوتها الذي ينقل رؤاها وتوجهاتها إلى الناس، في وقت لم تكن الصحف تصل فيه بدرجات كافية إلى نسبة كبيرة من الجماهير، بخلاف ما للفن من جاذبية وتشويق وقدرة على التغلغل إلى النفوس، فوجدت الثورة في حلیم نموذجاً لهذا التغيير، وهو ما يفسر عدم اضطلاع مطربين كبار ومحبوبين وقتها للقيام

بهذا الدور أمثال عبد العزيز محمود، محمد قنديل، كارم محمود أو عبد الغنى السيد...

لقد توحد حلیم مع الثورة التى استفادت منه فى طرح شعاراتها، كما استفاد حلیم بالطبع من الثورة، بعد أن أصبحت أغانيه الوطنية جزءاً من حب الوطنى.. إنها نوع مختلف من علاقة الفنان بالسلطة، فهى علاقة إيجابية تعتمد على العطاء المتبادل فى حدود المسموح والمشروع، فلم يقدم حلیم من جانبه إلا فنه، ولم تعطه السلطة من جانبها إلا رعايتها ومساندتها وبعضاً من.. حمايتها!

فى يوم فرح هدى ابنه جمال عبد الناصر، اقترب عبد الناصر من حلیم وسأله: بتنام كويس يا حلیم؟
قال حلیم: أنام بمساعدة عقار "الموجادون".
انزعج عبد الناصر وقال لحلیم: ولكن هذا العقار يجعل من يستخدمه عصبياً أثناء النهار.

هذا الحوار البسيط بين زعيم كبير كعبد الناصر وبين فنان يكشف مدى العلاقة الودية التى كانت بينهما، إنه حوار "أبوى" حميم، أشبه بالحوارات بين الأصدقاء وليس بين الساسة ومواطن بدرجة فنان، ولكنه.. حلیم..

لذلك عندما يغنى حليم لناصر: "ولا يهملك يا ريس
من الأمريكان يا ريس، حواليك أشجع رجال" أو "يا بركان
الغضب يا موحد العرب" فإنه لا يغنى تملقاً، بل إيماناً
وتجديداً للمبايعة التي وهبها حليم لناصر.

وعندما أعلن ناصر قراره بالتتحي، كان حليم أول
من يخرج بعربته "البويك" برفقه صديقه الحميم كمال
الطويل، ليصل إلى بيت ناصر بصعوبة بالغة، من أجل
إثناء الزعيم عن قراره...

وحليم لم يكن يفعل ذلك نفاقاً أو رياءً، باختصار لأنه
لم يفعله وحده، فقد كشف لى محمد الدسوقي ابن شقيقة السيدة
أم كلثوم، أن كوكب الشرق قد استقبلت خبر التتحي بصرخة
مفرعة، بل وبأغنية تطالب فيها الزعيم بالعودة إلى قيادة
شعبه، رغم أنها كانت لا تزال تعاني من حالة اكتئاب دخلت
في دوامتها على إثر هزيمة ١٩٦٧ المريرة.

وعندما يمرض حليم يفاجئه ناصر بالزيارة في منزله
ويرفض الجلوس في الصالون مثل الضيوف، ولكنه يسحب
كرسيّاً ويجلس إلى جوار حليم الذى كان قد أصابه النزيف
لأول مرة في حياته.

ولكن عبد الحليم لم تكن لديه الجرأة على أن يعامل ناصر بالمثل فيبادله الزيارة في منزله بمنشية البكرى، ولا "كاريزمة" ناصر كانت تسمح للآخرين مهما كانت علاقته بهم لأن يتبسطوا معه أكثر من اللازم، فهو رجل دولة مهموم بقضايا وطنية وقومية والوقت لديه محسوب ومحدود جداً، فيها هو حليم يقول في لغة ذكية لناصر إنه اكتشف أن أهم شيئين في الدنيا لصحة الإنسان هما: المشى والنوم؟

قال ناصر وقد فطن إلى أن حليم يوجه له رسالة: وامشى فين.. ده أنا لو مشيت شوية هتلاقى مكتبى ورايا!

هكذا كان ناصر مشغولاً ومهموماً، ولا يمكن لحليم بحساسيته التي عرفت عنه أن يذهب إلى ناصر ويحكي له مشكلة تخصه، حتى عندما تعرض لمضايقات من جانب أحد رجال الأمن بخصوص علاقته بممثلة شابة معروفة، وجد حليم حرجاً كبيراً من أن يذهب إلى منشية البكرى ليحكي لناصر ما يتعرض له من مضايقات بل ذهب إلى المشير عبد الحكيم عامر الذي كان يتبسط أكثر في علاقاته بالوسط الفنى.

وفى رأينا أن موقف حلیم فى هذا الاتجاه كان يؤكد على ذكائه المعروف عنه، فالفنان يجب أن يعرف أن هناك خطوطاً وهمية فاصلة بينه وبين السلطة مهما كانت حميمة العلاقة بينهما، فالسلطة يجب أن تكون الداعية للفنان وليس على الفنان أن يكون متلهفاً للقاء السلطة كلما تعرض لمشكلة من المشكلات.

ولكن ناصر لم يكن يبخل على حلیم - ابن الثورة - بالسؤال، ففى فترة بعد الهزيمة وكان حلیم قد بدأ يعانى بشكل أوضح من مضاعفات المرض، اتصل ناصر بحلیم قائلاً: أنا عبد الناصر..

- أهلاً يا ريس.

- حافظ على صحتك، ومن رأى إنك تتجاوز أحسن

- حاضر يا فندم

ضحك ناصر وقال لحليم: أنا مش بأمرك. الجواز مش بالأمر لكن أنا بتمنى لك السعادة.

- متشكر قوى يا ريس.

وانتهت المكالمة السريعة ولكن بعد أن شحنت حلیم بالأمل والتحدى.

ولعل الرسالة التى كتبها حليم فى رثاء الزعيم تكشف
عن بعض طبيعة العلاقة بينهما: (روز اليوسف العدد ٣٣٧٧)
وسوف يأتى نصفها فيما بعد.

مات ناصر ولم يستطع حليم - لأسباب كثيرة - أن
يحمل مبادئ ناصر على صوته كما قال فى رثائه، ولكننا
نستطيع أن نقول مطمئنين أن بعضاً من نفوذ حليم قد استمر
فى الجزء الذى شهده من المرحلة الساداتية، بل إنه بسبب
المكانة الخاصة التى استطاع حليم أن يحتفظ لنفسه بها فى
بلاط السلطة الجديدة، فإنه قد نجح فى أن يلعب دوراً مهماً
فى أزمة الكاتب مصطفى أمين، واستطاع حليم أن يوفر
لمصطفى أمين إعاشة خمسة نجوم فى معتقله، وبسبب هذا
تمكن مصطفى من كتابة عدد من كتبه أثناء تلك الفترة إلى
أن تمكن حليم - فى ظل ظروف مساعدة - بمكانته لدى
الرئيس السادات من لعب دور مهم للغاية فى عملية الإفراج
عن مصطفى أمين، وكتب حليم برقية إلى على أمين من
المطار - وكان على سفر - يهنئه فيها بخروج مصطفى
أمين قال فيها: الأخ الأستاذ على أمين. عمارة لبيون -
الزمالك - القاهرة.

بعد محاولاتي الكثيرة للاتصال بكم اكتب لكم من
مطار القاهرة فى طريقى إلى لندن. أهنى نفسى قبلك. ألف
مبروك. ألف قبلة إلى الحبيب مصطفى.
وإلى اللقاء. عبد الحليم حافظ..

ارتبط حليم بالثورة منذ العام الأول لميلادها، بل إن
ميلاده الفنى الفعلى جاء بعد ساعة واحدة من إعلان
الجمهورية فى مصر وسقوط دولة الملكية. وقصة ذلك أن
السيد وجيه أباطة مدير الشؤون العامة للقوات المسلحة وقتها
وهى التى كانت تشرف على احتفالات عيد الثورة الأول،
التقى بحليم ولما استمع إليه قال له إنه سيقدمه فى حفل حديقة
الأندلس إلى جانب فريد الأطرش وشادية، عبد العزيز
محمود، محمد فوزى وكارم محمود، فحقق قلب حليم خوفاً،
واختلطت بداخله مشاعر الفرح بالقلق! وفى الليلة المحددة
وفى تمام الساعة الحادية عشرة مساءً، كان حليم يشكو لمقدم
الحفل الداخلى وكان ليلتها هو الفنان يوسف وهبى من تأخر
ظهوره على المسرح، وفجأة تم الإعلان عن خبر إلغاء
الملكية وأن مصر أصبحت ذات نظام جمهورى من هذه
اللحظة، فطمأن يوسف وهبى حليم وبشره بهذه البشرى ومع

دقات الساعة الثانية عشرة كان يوسف وهبى يقدم حلیم قائلاً:
"مع إعلان ميلاد جمهورية مصر سنقدم لكم ميلاد مطرب
جديد هو عبد الحليم حافظ".

أى صدفة هذه التى كانت فى انتظار هذا الفتى
النحيل، أى صدفة تلك التى جعلت بدايته تتزامن مع بداية
عصر جديد فى مصر، صحيح أن علاقة حلیم وناصر لم
تكن قد ولدت بعد، ولكن علاقة أكبر كانت قد بدأت إنها
علاقة عهد جديد بصوت جديد وأسلوب جديد، والنظام الجديد
دائماً بحاجة إلى دماء جديدة وفكر جديد تقدمه إلى
الجماهير.. لقد ظهر حلیم فى تلك الليلة ومن خلفه ستون
عازفاً وكان هذا شيئاً جديداً تماماً من حيث الشكل، فقد كانت
الفرقة لا يتجاوز عددها حتى هذا الوقت عشر عازفين أو
اثني عشر عازفاً على الأكثر.

ولم يكن هذا العدد الهائل يعبر عن ثراء هذا
المطرب، بل أن جميعهم كانوا من زملائه فى معهد
الموسيقى جاؤا متبرعين من أجل نجاح زميلهم. أما من
حيث المضمون فقد غنى حلیم "صافينى مرة وجافينى مرة..
ولا تتسانيش كدة بالمرة" من كلمات سمير محجوب وألحان

صديقه محمد الموجي، وكانت جديدة تماماً فى الشكل والمضمون هى الأخرى.

وكان حلیم من الذكاء والمسئولية بحيث ربط نفسه مع أحلام ومبادئ الثورة، فغنى أول أغنية وطنية له "إحنا الشعب" التى كان نجاحها الساحق دافعاً قوياً للاستمرار فى هذا اللون من الغناء الذى جاء بشكل مختلف عن أى مرحلة سابقة، وجاءت مشجعاً للنظام لأن يرفعى هذا الصوت المعبر عن آمال الجماهير ومبادئ السلطة فى نقطة التقاء واحدة.

وغنى حلیم: بالأحضان يا بلدنا يا حلوة، قلنا هنبنى وادى احنا بنينا السد العالى.. يا استعمار بنينا باديئنا السد العالى كانت هذه الأغنية فى ١٩٦٠، وفى العام التالى أغنية ذكريات الطفولة، وفى عام ١٩٦٤ "يا عديم الاشتراكية" لمرسى جميل عزيز وكمال الطويل، وفى ١٩٦٦ رائعة صلاح جاهين والطويل "صورة" للشعب الفرحان تحت الراية المنصورة - وقد قالت لى السيدة منى قطان زوجة العملاق الراحل أن جاهين كتب هذه الأغنية بينما كانا فى القطار فى طريقهما إلى الإسكندرية لقضاء شهر العسل - وفى عام ١٩٦٧ جاءت أغنيات الأبنودى والطويل: بركان الغضب،

بالدم، إنذار، اضرب، اشجع رجال، ياستعمار، راية العرب
وابنك يقولك يا بطل هاتلى نهار، وظل حليم يفتح جميع
حفلاته عقب النكسة بأغنية "أحلف بسماها وبترابها.. أحلف
بدروبها وأبوابها.. أحلف بالقمح وبالمصنع.. أحلف بالمدنه
وبالمدفع.. باولادى وأيامى الجاية.. ما تغيب الشمس
العربية.. طول ما أنا عايش فوق الدنيا.. وقد نذر بغنائها
حتى يتحقق الانتصار وتمحى الهزيمة وهو ما تطلب منه
غناءها لمدة ٦ سنوات كاملة.

وأيضاً من أغنيات هذه المرحلة أغنية الأبندى وبلغ
حمدي "موال النهار". "عدا النهار والمغربية جاية تتخفى
وراء ظهر الشجر.. وعشان نتوه فى السكة شالت من ليالينا
القمر.. وبلادنا ع الترة بتغسل شعرها.. جانا نهار مقدرش
يدفع مهرها.. يا هل ترى الليل الحزين أبو النجوم الدبلانين..
أبو الغناوى المجروحين.. يقدر ينسيها الصدى أبو شمس
بترش الحنين.. أبداً بلادنا للنهار بتحب موال النهار.. لما
يعدى بالدروب ويغنى قدام كل دار".

ولا ننسى أغنية حليم إيان معارك ١٩٥٦ "يا أهلاً
بالمعارك".

استمر حليم فى غنائه الوطنى بعد عام ١٩٧٠، مما يؤكد أنه لم يكن يغنى لعبد الناصر بل كان غنائه خالصاً لمصر من أى شبهة نفاق أو تملق، فغنى أثناء حرب ١٩٧٣ "قومى يا مصر" و"الفجر لاح" و"عاش اللى قال" و"خلى السلاح صاحى" ومع تأكيد النصر وعودة سيناء "وصباح الخير يا سيناء" وقد كان حليم مقيماً فى الاستوديو ومعه صلاح جاهين والأبنودى والطويل فى شبه إعاشة كاملة داخل استوديوهات الإذاعة أثناء حرب ١٩٧٣.

بالأحضان يا مصانع.. يا مزارع.. بالأحضان.. يا
حصاد الثورة.. يا حلم وعلم.. بالأحضان.. يا مدائن.. يا
جنائن.. بالأحضان.. ياللى أنت بترفع راية السلم.

إن حليم كان قائداً متمكناً وبارعاً لجمهوره الذى جمع
كل طوائف الشعب ولعله قام بدور - على المستوى الشعبى
- أوبر من الدور الذى لعبه هيكى فى جمع الناس حول
أهداف الثورة وزعيمها:

على رأس بستان الاشتراكية.. واقفين بنهنذر
المية.. أمة أبطال.. علم وعمال.. ومعانا جمال.. بنغنى غنوة
فرايحية..

كان حلیم زعیماً بالملابس المدنية.. زعیماً بلا جيش
أو قوة تشد من عوده، إلا قوة إحساس وصدق مشاعره:
ثورتنا المصرية أهدافها الحرية..
وعدالة اجتماعية وونزاهة ووطنية..
بعزيمة الأحرار وإيدين الثوار..
شتتنا الأشرار وجيوش الاستعمار
كما كان حلیم - على ضعفه الظاهر - يحمل قوة في
التعبير جعلته ثائراً مع الثوار.. فقط بالكلمة واللحن والأداء:
انتصرنا يوم ما هب الجيش وثار..
يوم ما أشعلناها ثورة نور ونار..
يوم ما أخرجنا الفساد..
يوم ما حررنا البلاد.
مطرب كحلیم له كل هذا الانتماء الوطنى والوعى
القومى كان لابد وأن يحظى بمكانه خاصة لدى النظام
وخاصة رأس هذا النظام وعقله المفكر سواء كان عبد
الناصر أو السادات، وإن كان قد حظى بمكانة أكبر وبور
أعمق لدى عبد الناصر بوصفه الأقرب إلى روح الثورة.

ونشأت علاقة من نوع متميز بين ناصر وحليم، حتى أن حليم لم يجد حرجاً من أن يشكو إلى ناصر هواجسه بأن صلاح نصر مدير المخابرات وقتها يحاول أن يورطه فى عمل ما وأنه - حليم - لا يريد لنفسه إلا أن يكون فناناً فقط. وعلى الفور أمر ناصر بأن يرفع صلاح نصر يده عن حليم، ويتركه حراً طليقاً وكذلك أمره برفع المراقبة فوراً عن تليفون حليم عندما تأكد له أن حليم مراقب، لأن المخابرات اعتبرته شخصية مهمة بالنسبة لهم يتصل بها شخصيات على مستوى رفيع من كل المنطقة العربية!

وهكذا كان يمكن أن يقع حليم فى فخ المخابرات لولا صلابته، ووضوح هدفه، وأيضاً لقربه من ناصر الذى وفر له الحماية.

كيف لا وقد قال ناصر لحليم فى أول مقابلة بينهما:
"إحنا بنعتبرك ظهرت مع الثورة..."

* * *

إن عبد الحليم حافظ لم يكن مجرد صوت عابر فى تاريخ الغناء فى حقبة معينة من تاريخ مصر، بل كان كما وصفه بحق الدكتور سيد عويس "أن عبد الحليم حافظ هو

الصوت الذى سجل للتاريخ وثائق ثورة يوليو ومكاسبها" بينما قال عنه يوسف إدريس أنه "الثورة مغناة" ..

وغنى حلیم للبسطاء كلمات لم تكن لتغنى إلا من خلال حنجرة هذا الموهوب الحساس، الذى يغنى بأسلوب السهل الممتع، وبكلمات العملاق صلاح جاهين وأحسان كمال الطويل الذى كان له نصيب الأسد فى أغاني حلیم الوطنية:

للأفراح والرفاهية حنمد طريق ع النيل..

اسمه فى الاشتراكية التصنيع الثقيل..

بس نضاعف إنتاجنا أضعاف أضعاف..

وندير مهما احتجنا ونحارب الإسراف..

وبقرش الادخار نتحدى الاستعمار..

ونقيم جدار جبار يحمى حياة العاملين..

آدى نقطة بنقطة جميع بنقطة الخطأ..

إنها خطبة سياسية كاملة مغناة على لسان العنديل، مع الفارق بأن الخطب السياسية ما كانت لتصل إلى الناس مثلما وصلت على حنجرته، ولم يكن زعيم الثورة ليقول عن نفسه ما قاله حلیم: "ريسنا ملاح ومعدينا، عامل وفلاح من أهالينا.. ومنا فينا الموج والمركب.. والصحة والريس

والزينة.. أحلف بقرآنى وإنجلى، بهدف عظيم دائما ينادىلى"
وكان هذا هو تفسير حلم للاشتراكىة "مُغْنَى" بكلمات جاهين:
مفيش أنا.. فيه إحنا يا صاحبى.. أنا وأنت.. وأنت وهو وهيه
علينا نعمل اشتراكىة.. من كلمة حلوة، للكمة حلوة.. وبيت
وكسوة وناس عايشين.. أدى القضية".
وبعد هذا هل لنا أن نتكلم عن علاقة حلیم بالسلطة،
بالنظام، بالوطنية بمصر؟



مواجهة ساخنة

بين

المشير وحليم

”الفنان بطبعه متمرد، حر، طليق، والسلطة –
أى سلطة – تمثل قيداً عليه.. الصداقة بين
الفن والسياسة هى صداقة محفوفة بالمخاطر..
صداقة حتى إشعار آخر!“

"عبد الحليم لم يكن صديقاً لقادة الثورة، بقدر ما كان صديقاً للثورة نفسها ذاتها. وأى حب أو صداقة أو علاقة اندفاع تجاه أى من رجالات الثورة وقادتها، كان من أساسياته ودوافعه والمحرك له، حبه للثورة وتجاوبه مع مفهومها وأهدافها وجوهرها ومبادئها التى ظهرت بها، منذ أن اعتبر عبد الحليم نفسه ابناً من أبنائها وأحد مظاهرها" أعجبتى هذه الفقرة التى كتبها مجدى العمروسى فى كتابه عن العندايب "أعز الناس"، ففيها تلخيص لحكاية حليم مع المشير عبد الحكيم عامر - الرجل الثانى فى مصر قبل ٦٧ - الذى اقترب منه حليم كرجل من رجالات الثورة المصرية، وابتعد عنه عندما اكتشف أن المشير رجل سياسة قلبه عند مصلحته، ومنذ متى اتحدت السياسة مع الفن؟

إن الفنان بطبعه متمرّد، حر، طليق، والسلطة - أى سلطة - تمثّل قيّداً عليه، الصداقة بين الفن والسياسة هى صداقة محفوفة بالمخاطر، صداقة حتى إشعار آخر!

الكاتب منير عامر الذى أعطاه العندليب الراحل قصة حياته ونشرها مسلسلّة فى مجلّة صباح الخير، ثم أصدر عنه كتاباً آخر بعد رحيله قال لى:

عبد الحكيم عامر يكاد يمثل الجسر الأساسى بين ثورة ٢٣ يوليو وبين عبد الحليم حافظ، ولم يهتز هذا الجسر إلا بعد واقعة الخلاف الشهيرة بين سيدة الغناء العربى أم كلثوم وبين حليم فى الاحتفال بذكرى الثورة المصرية عام ١٩٦٤، فقد وقف عامر بشكل واضح وقوى مع أم كلثوم.

وإذا كان عبد الناصر قد زار حليم مرة واحدة فى بيته أثناء أزمة مرضية ألمت به، إلا أن عبد الحكيم عامر كان هو الأكثر قرباً والأكثر متابعة لحليم، فهو الذى أزال العقبات أمام سفر حليم فى رحلته للعلاج بأمريكا بعد يوليو ١٩٦٣، وقام - بنفسه - بعمل الإجراءات الإدارية للسفر.

حليم كان ناصرياً أكثر منه ساداتياً، رغم أن السادات قد فتح بيته لحليم، ولكن حليم كان مرتبطاً بالثورة نفسها وبرموزها، فالثورة هى السبب الحقيقى وراء وجود حليم، حتى أن ظهوره كان فى نفس اللحظة التى أعلن فيها عن

ميلاد الجمهورية، وقد استفاد من رغبة الثورة فى أن يعبر عنها، ولكن تقربه كان من خلال حفل أقيم فى الجزائر. وكان عبد الحليم يوجد بشكل مكثف فى مكتب المشير عبد الحكيم عامر، واستمرت بينهما العلاقة حتى حدوث أزمة أم كلثوم عام ١٩٦٤، ولكن استمرت العلاقة بيه وبين شمس بدران الذى توسط للصلح بينه وبين أم كلثوم وشمس - ليس المشير - هو الذى وفر مسرح الإسكندرية ليغنى فيه عبد الحليم أغنيته الشهيرة "يا أهلاً بالمعارك" وهو الحفل الذى أقيم لمصالحة عبد الحليم وحضرها عبد الناصر والمشير.

وربما يكون عبد الحليم قد حقق بعض المكاسب من خلال علاقته بالمشير، منها مثلاً شقة الزمالك التى عاش فيها حتى أيامه الأخيرة، وأحياناً كان يطلب من المشير تسهيل شراء سيارات "نصر" لبعض أقاربه ومعارفه.

أما على الصعيد الفنى، فقد ساعد عبد الحليم زملاءه الفنانين فى طلب موعد من عبد الناصر - وكان ذلك من خلال المشير - للنظر فى شكوى الفنانين من مبالغيات الضرائب عن أرباحهم، وهو الاجتماع الذى حضره حشد من

الفنانين يتقدمهم محمد عبد الوهاب الذى لوحظ أنه لم يتفوه بكلمة واحدة طوال الاجتماع، بينما كان حلیم هو أكثر المتحمسين والمنفعلين، ولذلك داعب ناصر الفنان عبد الوهاب بقوله: أنت اتكلمت كثير وشرحت الموقف كويس يا أستاذ محمد!

وعن اهتمام المشير بالفن والفنانين يقول منير عامر: بدأ ذلك من خلال صلاح نصر الذى حبيب إليه الاستمّاع بمجالساتهم وتمضية بعض الوقت معهم، بالإضافة إلى أنه كان يرى فى (حلیم) تحديداً تجسيدا للثورة مع عزوف عن الانغماس فيها.

ولكن العلاقة بين حلیم والمشير تكسرت على أعتاب أزمة حلیم مع السيدة أم كلثوم، بعد ما لاحظ حلیم وقوف المشير بقوة إلى جانب كوكب الشرق، وانحيازه لرغبتها فى اختيار الموعد المتميز الذى رأت أنه يحقق انتشاراً أفضل لأغنياتها الوطنية والعاطفية مع الاستثناء بأذن ضيوف الحفل الكبار.

ولذلك فعندما وقعت كارثة ١٩٦٧، وما تلاها من القبض على المشير وتحديد إقامته، لم يفكر أحد فى سؤال

عبد الحليم عن علاقته بالمشير، ولم يتوقعوا عنده جديداً يفيد التحقيقات، فالعلاقة بينه وبين المشير كانت قد تحولت إلى علاقة يغلب عليها الفتور.

ومن جهة أخرى كان حل يم أذكى من أن ينغمس في السياسة قبل ٦٧، أما بعد النكسة فقد انغمس أكثر في لعب الورق (الكوتشينة) كغالبية المصريين فأسرف في السهر وارتياح النوادي الليلية، ولكن مع وجود حالة حرب (الاستنزاف) فهو كان يعتبر نفسه جندياً في الميدان.

وعن تفاصيل الخلاف بين المشير وحليم يقول مجدى العمروسى: "كانت ليلة ٢٣ - يوليو - تقام فيها حفلة ينظمها الجيش، ضيف الشرف فيها هو جمال عبد الناصر، والداعى فيها عبد الحكيم عامر نيابة عن الجيش، وكان يدعى لإحياء هذه الحفلات الصفوة من الفنانين وعلى رأسهم سيدة الغناء وعندليب الغناء، وكان ترتيب الحفل أن تغنى سيدة الغناء أغنياتها الوطنية، ثم تحضر العشاء مع عبد الناصر ومعها عبد الوهاب وعبد الحليم، ثم الساعة ١٢ يغنى عبد الحليم في الوقت المتميز". وفى عام ١٩٦٤ أعدت السيدة أم كلثوم قصيدة وطنية، وأرادت أن تأخذ الموعد الذى اعتاد عبد

الحليم أن يغنى فيه، وبعد أن تنتهى هى يبدأ حليم فى الغناء بعد الثالثة صباحاً، وكان من ضيوف الحفل الامبراطور هيلاسلاسى والرئيس بين بيللا والرئيس نكروما وغيرهم. وكان طريق السيدة أم كلثوم لتنفيذ ما أرادت هو المشير عبد الحكيم عامر - الذى كان العندليب يظن أنه صديقه - قالت أم كلثوم للمشير، إن المسرح حر جداً وليس به تكيف، وأنها تتعب من التأخير وأضافت حسب رواية الأستاذ مجدى العمروسى: "أنا عاوزة أغنى أغنيتى الوطنية وبعدها العاطفية وأروّح، وأترك لكم المسرح بعد ذلك أنتم أحرار فيه".

وكانت علاقة السيدة أم كلثوم بالمشير تسمح لها بهذا الطلب فيما يبدو، ولكن المشير ربما لأنه اعتقد أن الأمر عادياً، وربما لسبب آخر، لم يبلغ الأمر لعبد الحليم، ولم يعلم حليم ذلك إلا قبل الحفل بساعة واحدة فقط! فذهب مسرعاً إلى حيث مكان المشير وأبلغه بأنه لن يغنى فى هذا الحفل، ولكن المشير كان فى غاية الرقة وهو يهدئ من غضب العندليب لدرجة أنه كان يمسك شعر رأس حليم وهو يطلب منه العدول عن موقفه، بل وأخبره أن موافقته على طلب أم كلثوم

جاء دون أن يعرف أن فى الأمر ما يغضبه وأثناء الحوار المشترك بين المشير وحليم مر بهما الرئيس عبد الناصر وعرف أ، حليم غاضب من موعد غائه، إلا أن المشير عامر خفف الأمر وقال: إن سبب غضب حليم هو أنه سيغنى بعد انصراف الرئيس ضيوفه، وفوراً أصدر ناصر قراراً بتأجيل موعد سفر ضيوفه، ليستمعوا جميعاً لغناء حليم. ولكن حليم لم ينس ما فعلته كوكب الشرق، فبدأ وصلته الغنائية بكلمة وجهها لحضور الحفل قائلاً: "إنه شرف عظيم أن يختم أى مطرب حفلاً تغنى فيه سيدة الغناء أم كلثوم، ولكن اللى أنا مش متأكد منه، إن كان ده شرف ولا مقلب من السيدة أم كلثوم".

وتكهرب الجو...

وفى اليوم التالى تم إبلاغ حليم أن المشير عامر يريد رؤيته فى المعمورة، ولم يكن حليم يدري أنه فى هذه المقابلة سيرى مشيراً آخر غير الذى يعرفه واعتاد رؤيته، فقد ذهب إليه فى المعمورة ليجد رجلاً متجهماً، تجاهل حتى التحية التى وجهها إليه حليم عند دخوله غرفة المكتب، وتظاهر المشير بأنه منهمك فى دراسة أوراق أمامه، وكان بصحبة

حليم فى ذلك اليوم صديقه مجدى العمروسى وعلى إسماعيل،
ورغم أن مجدى العمروسى يؤكد على أن اصطحاب على
إسماعيل معه بسبب اعتقاد حليم فى أنه ذاهب لتسلم وسام أو
نشان بمناسبة إجادته الغناء فى حفل الليلة السابقة، إلا أن
الأمر يبدو وكأن حليم يخشى رد فعل المشير بسبب جملته
الغاضبة فى حق كوكب الشرق التى تأكد من التقرير الشديد
والمكانة الخاصة لها عند المشير عامر(!).

وبصوت جهورى فيه رائحة (الشخط) سأل المشير:
- إيه اللى إنت قلتة إمبراح ده؟ هى أم كلثوم اللى
بتنظم الحفل واللا الجيش؟
وأردف قائلاً بنفس لهجته الغاضبة: بكرة يا أستاذ
تتشر فى كل الجرايد اعتذار صريح تعذر فيه للسيدة أم
كلثوم عن اللى قلتة.. فاهم؟".

وكاد عبد الحليم أ، يبكى وهو يسمع هذه النبوة من
المشير وقال بكبرياء الفنان: "سوف يافندم أنا مطرب صغير،
وسيادتك الرجل الثانى فى مصر، ممكن تمنعنى من الغناء،
تودينى السجن الحربى، ممكن تخرجنى من مصر، لكن لا
يمكن أبداً سيادتك أو أى مخلوق يقدر يخلينى أنزل عن

كرامتى وأعتذر لأى مخلوق مهما كان، ولو كانت الست أم
كلثوم"...

ونادى حليم على صديقيه: ياللا يا مجدى.. ياللا يا
على وخرجوا جميعاً من الغرفة وسط صياح المشير: يا
شمس.. يا شمس.. حوش المجنون ده!!

وفى العام التالى (١٩٦٥) اختار المشير السيدة أم
كلثوم لتحى عيد الثورة منفردة بدون حليم ورد عبد الناصر
بتنظيم حفل خاص فى الإسكندرية لحليم..

هذه هى صورة مبسطة ولكنها واضحة لشكل العلاقة
بين الفنان والسلطة.. قوة وبطش وكبرياء قد يدفع الفنان
ثمنه.

ورغم ما قاله لنا الكاتب منير عامر، فإن الكاتب
عادل البلك فى كتابه "عبد الحليم حافظ يؤكد على أن العلاقة
بين المشير وحليم كانت طيبة وودية أ:ثر من اللازم، فكان
المشير يترك كل أعماله وأعبائه عندما يشاهد حليم...
بالأحضان!

والأهم من ذلك فإن عادل البلك يكشف عن وفاء
العنذليب لأصدقائه، وخاصة صداقته مع المشير عامر، حتى

بعد واقعة انحياز المشير لسيدة الغناء فى عام ١٩٦٤ بسنوات، وهو يقول فى هذا السياق: "وإذا كان المشير عامر قد منعه من الغناء فى احتفالات ٢٣ يوليو، فإنه لم يترك المشير فى أزمتته مع الزعيم الراحل عبد الناصر... كان يزوره دائماً فى فيلته بالجيزة عندما تحولت الفيلا إلى ترسانة مسلحة أو "قشلاق" بها قليل من الجنود، وكثير من الصعايدة الذين حضروا من بلدة المشير "اسطال" ومعهم أسلحتهم.

ويمضى البلك فى روايته لهذه الواقعة المهمة فيقول:
- كان مجدى العمروسى ينتظره على باب الفيلا، وشاهد الرئيس عبد الناصر يدخلها، وكان الرئيس عبد الناصر حريصاً على أن يذهب بنفسه لإخراج صديق الشباب ورفيق السلاح المشير عامر، قبل أن تهاجم الفيلا ويحدث ما لا تحمد عقباه، وإن كان حدث بصورة أو بأخرى بعدها بأيام قليلة.

وعندما شاهد الرئيس عبد الناصر عبد الحليم نادى عليه وقال له:

- أنت بتعمل إيه هنا؟

- وقال حليم: أبداً يا فندم أنا بازور المشير!
فقال له عبد الناصر: طيب رَوْح أنت.
وبقى عبد الناصر واقفاً حتى شاهد بنفسه عبد الحليم
وهو يركب سيارته ويتحرك بها.

هنا يقول مجدى العمروسى:

- فى الطريق شاهدت الدبابات تملأ الشوارع
المحيطة بفيللا المشير، ودبابات أخرى فى طريقها إليها،
وعرفنا أنها نهاية الصداقة الطويلة العريضة التى ربطت بين
الزعيم والمشير، ونهاية سلطة المشير وسلطانه.

وكان هذا نموذجاً لصداقة من نوع خاص بين فنان
وأحد مراكز السلطة، نموذجاً لصدق الفنان ووفائه تجاه سلطة
كانت تتهاوى وتسقط من عل.

وكان أجمل ما فيها أن الفنان لم يكن يبحث عن
مصلحة فى آخر مراحل الصداقة، وإن كان قد وجدها فى
بدايتها!

حليم كان يصادق فى السراء والضراء، يعانق فى
أيام الفرح ولا يهرب فى لحظات الدموع!!



العندليب

و

المخابرات

”ومن هنا كانت المواجهة الخطرة بين صلاح
نصر وعبد الحليم حافظ، وزادها سوءاً علاقة
عبد الحليم القوية مع الكاتب مصطفى أمين
والفنانة شادية التي كانت تتعرض في ذلك
الوقت لمضايقات من بعض أعوان صلاح نصر..
وتأكد عبد الحليم من أن تليفونه تحت
المراقبة...“

وكان اقتراب حليم من القيادة السياسية فى مصر
عقدى الخمسينات والستينات يثير عليه أشخاصاً وجهات
عديدة، خاصة مع احتلاله لمكانة لم يسبقه إليها فنان، فها هو
أنور السادات يقول: "إن محمد حسنين هيكل يجلس فى عقل
عبد الناصر، ويقرأ أفكاره ويعبر عنها فى كتاباته.. وإن عبد
الحليم حافظ يجلس فى حجرة عبد الناصر، ويوصل
للجماهير ما يريد أن يقوله بأغانيه".

إلى هذا الحد كان يعلم كل من حول عبد الناصر
بأهمية عبد الحليم بالنسبة له وبالنسبة للثورة المصرية.
وبالطبع فإن عبد الحليم كان يعلم مكانته عند الرئيس، فكان
يخاطبه مباشرة إذا ما تعرض لأية مضايقات، وكان لا يجد
حرجاً فى أن يكتب له الخطابات التى يئن فيها بالشكوى أو
حتى يلمح، رغم أنه كان مسموحاً له بزيارة منزل عبد
الناصر والجلوس مع أسرته وأولاده فى أى وقت يشاء حليم.
وها هو يكتب ذات يوم إلى الرئيس شاكياً: "هناك يا سيادة
الرئيس من يحاولون أن يباعدوا بينى وبين الغناء للثورة،

وحينما أغنى بستان الاشتراكية، فإننى أحاول التعبير عن أحلامك وبصفتى واحداً من جنودك".

وقد تأثر الرئيس عبد الناصر بهذا الخطاب تأثراً بالغاً وقام بالاتصال تليفونياً بالعنديلين فور انتهائه من قراءة الخطاب، وطمأنه وطلب منه ألا يهتم بشئ قدر اهتمامه بصفته وبفنه. ولم تكن علاقة عبد الحليم بالسلطة قاصرة على علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر، بل إنه ارتبط بعلاقات صداقة مع عدد كبير من القادة والمسؤولين منهم المشير عبد الحكيم عامر، وشمس بدران مدير مكتب المشير والرجل القوي حينئذ، حتى أننا نجد ضمن أوراقه ووثائقه الشخصية - وثائق العنديلين - بطاقة من المشير تحمل اسمه وصفته: المشير عبد الحكيم عامر - نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة، ومدون عليها عبارة "مع أطيب الأمنيات بالشفاء العاجل" .. وهي مجاملة رفيعة تعبر عن مكانة العنديلين عند مرسل البرقية.

فى حين أن صلاح نصر رئيس المخابرات العامة وقتها لا يرتاح إلى عبد الحليم، ويبدو أنه كان يضايقه هذه الصلة المباشرة بين عبد الحليم والرئيس عبد الناصر، وكان

يرى أن عبد الحليم أخذ حجماً أكبر من حجمه - لاحظوا
النظرة القاصرة إلى الفن والفنان، وزاد الغضب - والخطر
- على عبد الحليم عندما حاول رئيس المخابرات - صلاح
نصر - تكليف عبد الحليم حافظ ببعض العمليات للحصول
على معلومات من شخصيات رفيعة المستوى لصالح جهاز
المخابرات.

فيما كان عبد الحليم يرى أن هذا الدور ليس أبداً هو
الدور الذى يجب أن يلعبه الفنان، خاصة إذا كان فناناً له
مكانته الرفيعة ومصداقيته عند الملايين من معجبيه.

ومن هنا كانت المواجهة الخطرة بين صلاح نصر
وعبد الحليم حافظ، وزادها سوءاً علاقة عبد الحليم القوية
بالكاتب مصطفى أمين والفنانة شادية التى كانت تتعرض فى
ذلك الوقت لمضايقات من بعض أعوان صلاح نصر، بينما
قصة الأستاذ مصطفى أمين معروفة بين اتهامه بالعمالة
والتبرئة منها، وتأكد لعبد الحليم أن تليفونه تحت المراقبة،
وأن أغانيه أصبحت قليلة الإذاعة، وعن طريق شمس بدران
التقى عبد الحليم بالمشير عامر، بناء على نصيحة من عبد
الوهاب الذى قال له إن أردت اختصار الطريق فأطلب من

المشير أن يحدد لك موعداً عاجلاً مع عبد الناصر، ونفذ عبد الحليم النصيحة بحذافيرها، وفي اليوم التالي لمقابلته للمشير جاءه تليفون عند الظهر وقال له المتحدث: أنا جمال عبد الناصر!

ويحكى عبد الحليم فى مذكراته ما حدث بعد ذلك قائلاً: " .. وارتجفت ووقفت وقلت: أهلاً يا فندم.. ده كرم كبير من سيادتك.. فقال لى: اطمئن.. متاعبك فى الإذاعة حانتتهى فوراً.. وأنا سمعت إنك زعلان لأن أغانيك لا تذاع بالشكل الكافى وده مش معقول.. أنت ثروة قومية يا عبد الحليم.. فقال عبد الحليم والدموع تملأ عينه: مش عارف أشكر سيادتك إزاي لاهتمامك رغم مشاغلك الكبيرة: فضحك الرئيس وقال لى: بس حافظ على صحتك.. وأنا رأيى إنك تتجوز علشان حد بيرعاك وياخد باله منك.. فقلت - عبد الحليم - أوامرك يا فندم! فضحك عبد الناصر وقال: الجواز مش بالأوامر لكن أنا بتمنى لك السعادة".

ولكن لم تهدأ المضايقات لعبد الحليم، بل أن أحد الأشخاص جاءه ذات يوم قائلاً له: أنا باحذرك يا عبد الحليم أنهم لن يسمحوا لك بتجاوز الخطوط الحمراء فى علاقتك

بعبد الناصر، وفى تلك الأثناء لاحظ أن المشير عامر بدأ يضيق به بعد أن لاحظ ازدياد حب عبد الناصر له، فى حين كان المشير أكثر ميلاً للسيدة أم كلثوم، كما أن علاقته كانت قوية من صلاح نصر نفسه! واستغل صلاح نصر صداقة عبد الحليم مع مصطفى أمين وحاولوا إفساد علاقة الرئيس عبد الناصر بعبد الحليم على اعتبار أن مصطفى أمين كان متهماً فى ذلك الوقت بالتخابر لحساب المخابرات الأمريكية، خاصة أن حليم كان صديقاً وفياً لأصدقائه وكان يدافع عن مصطفى أمين متحدياً الجميع، وأعد صلاح نصر مجموعة من التقارير تشير إلى أن ثمة جلسات تتم فى منزل عبد الحليم وتعدى النظام، بالإضافة إلى تقارير أخرى تشير بأصبع الاتهام إلى علاقة عبد الحليم بأمراء سعوديين فى وقت كانت العلاقات فيه متوترة بين مصر والمملكة السعودية، وطلب عبد الحليم بعناد أن يدلى بشهادته فى قضية الأستاذ مصطفى أمين فقد كان يعلم أن اتصالات مصطفى أمين بالأمريكان تتم بعلم الرئيس عبد الناصر شخصياً، ورفض ذلك بشدة صلاح نصر.

وأثيرت حملة منظمة ضد عبد الحليم استغلوا فيها
إنشغاله بالقضية التي ثارت وقتها حول زواجه من الفنانة
سعاد حسنى - وهى القضية التي لم تحسم حتى هذه اللحظة
- ورددوا أن عبد الحليم انشغل بسعاد حسنى عن مهمته فى
الغناء للثورة.

وبدا أن الحملة هدفها الأول هو القضاء على عبد
الحليم فنياً ونفسياً!

وأبلغ عبد الحليم صديقه شمس بدران بأن تليفونه
مراقب، وفى اليوم التالى تأكد الرئيس عبد الناصر بنفسه من
صدق المعلومة وأمر برفع المراقبة عن (صوت) الثورة!
وهكذا كلما اشتدت المضايقات والمخاطر على العندايب، لجأ
إلى قمة هرم السلطة ممثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر
شخصياً، لينقذه بقرار جمهورى شفهى! ولذلك جاءت رسالة
الرثاء التى كتبها عبد الحليم حافظ للزعيم عبد الناصر يوم
وفاته مؤثرة وعميقة المعانى.. ولنقرأ برفقة عبد الحليم فى
رثاء الزعيم: "يا زعيمنا العظيم..

بعد أن استرجعت أول أنفاس من حول صدمة
رحيلك عنا - طلبوا منى أن أكتب كلمة عنك، أحسن أن هناك

سدوداً توضع فى طريق جيل الفنانين الذى تبنى على مبادئك
وشرب منها وآمن وعمل بها.. وكنت يا زعيمنا العظيم تشير
لنا كيف نتخطى هذه السدود دون أن نصاب بجرح ولو
بسيط.. ودون أن نصيب أيضاً أحداً ممن يقومون بوضع هذه
السدود فى طريق تقدم جيلك من الفنانين.. كنت تقول إن هذا
صراع الحياة.. لا تخافوا.. تقدموا.. وقدموا كل ما عندكم
من فن.. إننى يا سيدى الرئيس الحبيب.. يا أعلى ما فى
الحياة بمصر والعروبة.. والشرق.. إننى سأحمل مبادئك
على صوتى.. أردد لها مدى وجودى فى كل مكان فى العالم..
كما كنت أفعل دائماً.. فأنت باق فى نبضى وكيانى.. ودمى..
أنت وكل مبادئك العظيمة الخالدة.. رحم الله روحك الطاهرة
وأعان مصر والعرب".

.....

ورحم الله عبد الحليم حافظ.

* * *

٩

ميم اللبنانية واللعبة مستمرة

"تكشف القصة عن الرغبة المستمرة في استناد بعض الفنانين والفنانات إلى قوة السلطة، كما توضح ذوبان الخط الرفيع بين الفن والكبار".

وفى هذا السياق فإن آخر ما تم اكتشافه من قضايا حول بعض الفنانات العربيات- كان من خلال مقال كتبه الصديق وائل الإبراشى فى مجلة روز اليوسف فى عددها رقم (٣٨٤٥) بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٦ حيث كتب هذه القصة التى استطاع كصحفى أن يتوصل لبعض أسرارها، وهى تكشف بجلاء عن الرغبة القوية فى استناد بعض الفنانين والفنانات إلى سلطة، كما توضح ذوبان الخيط الرفيع - للأسف - بين الفن والأجهزة الأمنية والمخابراتية!! وأترككم مع سطور وائل الإبراشى والتى استخدم فيها الكلمات الواضحة التى تسمى الأشياء بمسمياتها ولم يلجأ إلى أسلوب المراوغة أو الإيهام:

"منذ عامين هاجمتُ المسؤولين الأمنيين المصريين السابقين الذين منعوا المطربة السورية ميادة الحناوى من دخول مصر لمجرد أن الموسيقار المبدع الراحل محمد عبد الوهاب طلب منهم ذلك، وهو ييكى مترجياً إياهم إنقاذ بيته من الخراب لأن زوجته نهلة القدسى هددته بالرحيل إذا

حضرت ميادة الحناوى إلى مصر، وكانت نتيجة ذلك المنع القسرى الظالم أن الجمهور المصرى استقر فى يقينه ما تردد وقتها من أن ميادة الحناوى تعمل مع جهاز مخابرات عربى للتجسس على مصر.

ويمضى وائل الإبراشى فى سطره قائلاً: وبعدها اتصل بى مسئول لبنانى بارز - قال إنه لن يكشف عن اسمه - ولكننى مضطر الآن للكشف عن مضمون مكالمته.. قال لى: يا أختى أنت دافعت عن ميادة الحناوى على اعتبار أن إنقاذ بيت فنان كبير مثل عبد الوهاب لا يجب أن يكون ثمنه وأد حرية فنانة عربية خاصة أن مصر هى أم العرب. طيب فيه فنانة لبنانية جميلة وصوتها عذب ورائع وممكن تنجح مثلما نجحت اللبانيات نوال الزغبى ونجوى كرم وديانا حداد، ومثلما نجح راغب علامة ووائل كافورى، ووليد توفيق.. قلت للمسئول اللبنانى: وماله تيجى مصر وتنجح، فرد: ما تقدرش تيجى لأنها المطربة اللبنانية الوحيدة الممنوعة من دخول مصر وهى لا تعرف سبباً لذلك، وسبق أن تقدمت بأكثر من طلب للسلطات المصرية لرفع اسمها من

قوائم الممنوعين من دخول مصر.. سألته: ما اسمها.. قال:
ميم اللبنانية.

وسأل الإبراشى مسئولاً مصرياً وكل ما عرفه أن
ميم ممنوعة من دخول مصر لأسباب أمنية، وهذه العبارة
نترجمها دائماً إلى أن المنع سببه الاشتباه فى أو اليقين من
علاقة هذه الفنانة بأجهزة مخابراته عربية أو أجنبية، ولما
قابل المسئول اللبنانى أخبره بسبب منع ميم فرد غاضباً: يا
أخى الماضى يموت! وبعدين عاملوها زى ملكة جمال العالم
السابقة "ج" المتزوجة الآن من المطرب اللبنانى "و"، وكانت
قبل ذلك متزوجة من أخطر شخصية فلسطينية الذى كان
ملقباً بالأمير الأحمر، ياسر عرفات والذى قتل على يد
الإسرائيليين منذ ٢٣ عاماً) وفى ذلك الوقت كانت منظمة
التحرير الفلسطينية تهاجم مصر وتتهم نظامها بالخيانة، ومع
ذلك لم تتعاملوا معها بنفس المعايير الأمنية التى تطبقونها
على الغير".

وبعد ذلك ينقلنا وائل الإبراشى إلى هذا الاكتشاف
"المهم وأنا أتصفح كتاب روبير حاتم الملقب بـ"كويرا" الذى
كان كاتماً لأسرار "إيلي حبيقة" السياسى والعسكرى اللبنانى

الخطير الذى قتل بسيارة مفخخة، أقول وأنا أتصفح الكتاب الملعن والمحظور وقع بصرى على اسم ميم اللبنانية ضمن أسماء الفنانات اللبنانية اللاتى اقتربن من إيلى حبيقة حسبما كشف كاتم أسرار الملقب بـ"كوبرا" وكانت المفاجأة لى أن المسئول اللبنانى الذى حدثنى فى أمر ميم كان هو أيضاً أحد الذين ارتبطوا بعلاقات سياسية وطيدة جداً مع إيلى حبيقة، وأحد الذين ساعدوه فى الانتقال من العلاقات مع إسرائيل إلى التحالف مع سورية.

وليس هذا كل ما فى سطور المقال بل إن هناك إشارة إلى اسم آخر لمطربة لبنانية أخرى تم ترحيلها من مصر إلى لبنان فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٩٤ هى مطربة لبنانية شهيرة تكشف المعلومات لأول مرة عن أنها قد سببت مصر والمصريين فى مشاجرة لها مع أحد المواطنين المصريين عقب وقوع تصادم بين سيارتيهما أعلى كوبرى ٦ أكتوبر، كما أنها (اقتربت) من ابن مسئول سابق فى محاولة للحصول على دعم وقوة وسلطة ونفوذ ليساعدها على تحقيق أحلامها فى (الصعود)...

.....

كل هذه المعلومات الحديثة تعنى أن اللعبة لم تنته
بعد... لعبة الفن والسلطة!

* * *



كنترول

النجمة (س)

”انطلق نجم هذه الفنانة المميّزة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائي الأول، حتى حصلت على لقب يسعد كل فتاة الحصول عليه، وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب، وساعدها على ذلك شخصيتها المرحية. المنطلقة، المحبة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كانت هذه الابتسامة أن تنطفئ، فبعد أن حققت نجوميتها، كانت هناك عين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة.”

لن يسعدنى أن يتعرف القارئ - بسهولة أو بصعوبة - على بطله هذا الفصل الذى فضلت أن أشير إليها بحرف واحد فقط على سبيل الرمز. وسبب حرصى على إخفاء اسم صاحبة هذه المغامرة التى دُفعت إليها دفعاً هو جماهيريتها العريضة، وشعبيتها الطاغية، وحالة البهجة التى حققتها لمحبي فنها، وما زالت تحققها بأعمالها التى تحرض مشاهديها على حب الحياة. والحقيقة أن صراعاً داخلياً عنيفاً نشب فى داخلى قبل أن أكتب هذا الفصل المقتضب وسبب الصراع هو السؤال الذى حيرنى بشدة: هل كل ما نعرف يقال أو لا يقال؟ وقبل ذلك: هل كل ما نعرف حقائق أم كثير منه أكاذيب وأساطير؟

وهل التعرض لمثل هذه المغامرة لنجمة أحزنت مصر كلها عند رحيلها يعد عملاً مشروعاً، أم هو نبش فى القبور؟

والحقيقة أنني استقرت عند وجهة نظر ترى أن
الحقائق - إن كانت كذلك - يجب أن تعلن وهو ما اصطاح
على تسميته بحق المعرفة.
هذه واحدة.

وأن حياة المبدعين يجب أن تكون محل دراسة
وبحث، فربما أفاد ذلك الباحثين يوماً ما وتلك واحدة أخرى.
ولكن الذى دفعنى فى اتجاه بحث هذه الحالة التى
أرجو أن تكون وقائعها عكس الحقيقة رغم ذكر هذه الوقائع
فى تحقيقات ومحاكمات رسمية، فيما عرف بتحقيقات محكمة
الثورة، دفعنى لذلك أن أتناولها كقصة تجسد الزج بالفنان
ودفعه دفعاً للاشتراك فى لعبة السلطة، لعبة الكبار، لعبة
الكراسى الخطرة. أعرف أن بعض الفنانين كانوا هم الساعين
إلى مصادقة السلطة، ومن ثم اللعب معها لتحقيق أهداف
مختلفة تشترك فيما بينها فى (المصلحة)، السلطة تريد شعبية
الفنان وعلاقاته المتشعبة والأبواب المفتوحة أمامه (بصرف
النظر عما تؤدى إليه هذه الأبواب) ومن ثم تصل إلى ما
تحب أن تصل إليه.

أما الفنان الذى يحترق شوقاً إلى سلطة تدعّمه، ونفوذ يفرضه، فهو يسعى إلى الدخول فى لعبة مثيرة، لعبة تحقق له المتعة حتى لو اقترنت بكثير من التوتر، لعبة تحقق له التفوق على أقرانه، والمرور من الباب الملكى إلى رحابة الشهرة الأوسع والنجومية الأكثر بريقاً ولمعاناً.

وفى الحقيقة - الفنان المغامر - يبحث عن (دور) أكثر إثارة، يرسمه له الكبار، ويؤديه هو بتصرف، يستخدم فيه كل إمكانياته الجسدية والعقلية، دور بلا رقابة تحد من حريته، وبلا سيناريو مؤكد، بل إنه سيناريو يعتمد على الارتجال، يقول فيه ما يريد، ويسمع مالا يتوقع!!

وفى هذه الحالة التى نرصدها فى هذا الفصل من الكتاب دور لفنانة بدأت فطرية، بكر، بسيطة إلى أبعد الحدود، إذا ابتسمت لك فكأنها الدنيا تبسم، وإذا نظرت بعينها الناعستين، فكأنهما هما وردتان تتفتخان من أجلك أنت، أما قوامها فرشيق رشاقة غزال شارد اكتشفها السينما، فاكتشفها الناس منذ أول أدوارها، أحبوها.. رفعوها إلى مصاف النجمات، بل وصعدت فوق أعلى هرم النجومية.

ولكن يثار أحياناً اللغط حول حياة بعض النجوم الشخصية، ويقال فى ذلك الكثير، ولكن لم يتقدم أحد ليحلل لنا ما الذى يحدث للبراءة حتى يحدث لها هذا التحول. لم يقل لنا أحد كيف تقسد الأضواء - أحياناً - من نحبيهم؟

ولكن طبعاً سيعود بنا المحللون والمفسرون إلى النشأة والبيئة والظروف الاجتماعية والنفسية.. وأشياء كثيرة ولكن يبقى اللغز قائماً!

ولكن هذه النجمة ولنرمز لها بالحرف (س) لم يكن فى ذهنها المغامرة مع الكبار ولا الدخول فى مغامرات المخابرات، ولكن البعض حاولوا دفعها دفعاً لذلك، ورغم أنه قد قيل ما قيل عن تجنيد - أو محاولات تجنيد - عدد من الفنانين فى ذلك الوقت، إلا أننا لن نسرف فى (الاعتماد) على هذه الروايات، إلا من خلال هذه القصة التى تكشف عن أسلوب ما - قيل أنه تكرر - فى التجنيد والسيطرة على هذه النجمة، لنرى كيف كان رد فعلها، وما هى درجة حماسها للدخول فى تلك اللعبة الخطرة.

فقد انطلق نجم هذه الفنانة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائي الأول لها حتى حصلت على لقلب يسعد كل فتاة الحصول عليه ويشير إلى رقتها وعذوبتها وجمالها وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب، وساعدها على ذلك شخصيتها المرحية، المنطلقة، المحبة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كادت هذه الابتسامة أن تنطفئ، فيعد أن حققت نجوميتها، كانت هناك عين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة.

ولم تكن هذه العين سوى عين صلاح نصر مدير جهاز المخابرات المصرية في ذلك الوقت، وحسب رواية اعتماد خورشيد التي سجلتها في كتاب ممنوع لها، وحسب ما قالته في اعترافاتها في محكمة الثورة، فإن النية كانت تتجه في ذلك الوقت داخل جهاز المخابرات لتوسيع قاعدة مندوبات المخابرات من الوسط الفني، وكانت النجمة الرقيقة (س) من بين المرشحات لهذا الغرض، بينما كان هناك رأى معارض من أحد قادة المخابرات على تجنيد الفنانة باعتبار أن هؤلاء الناس (الفنانين) "كلامهم كثير"!

ولكن انتصر الرأى الأول وحدد الأمر بالقيام بعملية السيطرة "الكونترول" على النجمة (س) لكى يتم تجنيدها

للعمل كمندوبة للمخابرات بحجة أنها أصبحت مشهورة وأصبحت لها شبكة قوية من العلاقات مع شخصيات مهمة ومرموقة داخل مصر وخارجها!

وعلى الفور تم وضع خطة محكمة لاصطياد النجمة (س) وجذبها إلى السنارة، ولكن بقي فقط البحث عن طعم يتمتع برائحة نفاذة وطعم مقبول لكي يجذب إليه النجمة، وبالفعل رشحت إحدى المندوبات وهى راقصة سابقة، رشحت الممثلة - (ل) كوسيط تستطيع أن تساهم بعملية فرد الشباك وتدفئة المياه لصعود السمكة (س) إلى السطح، وهى تعلم بالطبع أنها ستهوى بها بعد ذلك إلى القاع بعد أن تكون ساهمت فى سلب إرادتها!

وتستمر القصة بعد ذلك - ولسنا مضطرين إلى قبولها كاملة - لتروى كيف أن هذه الممثلة قامت بعملية تعارف بين النجمة (س) وبين أحد الأشخاص الذين قدمته لها على أنه سائح فرنسى، ولم يكن هذا السائح سوى مترجم اللغة الفرنسية، فى جهاز المخابرات، ويقال - حسب هذه الرواية - أنه قدم للنجمة مبلغ (٣٠٠) جنيه لها على سبيل الهدية، وبعد ذلك نجح فى اصطحابها إلى مكان آمن فى

منطقة مصر الجديدة. وطبعاً يمكن استنتاج الخطوة التالية،
وهى تصوير النجمة - بدون علمها طبعاً - لاستخدام
الشريط فى الضغط عليها وإجبارها على العمل كمندوبة
للمخابرات، ولكن ما لم يكن متوقعاً بالمرّة هو أن يحضر
التصوير مدير المخابرات بنفسه حسب هذه الرواية التى لا
نعلم مدى حقيقتها، وأن يضبط بنفسه الكاميرا ليحدد زوايا
التصوير وأحجام اللقطات.

ولم يكن صعباً بعد ذلك أن توقع هذه النجمة وهى فى
هذه الحالة السيئة، والأعصاب المنهارة على إقرار بتعاونها
مع المخابرات كمندوبة وهو نموذج معد سلفاً يوقعه
المندوبون، كما وقعت على كراسة تعرف باسم "P.R.G"
ولست أدري هل هو شئ طريف ما تذكره وقائع تلك القصة
من أنه تم استرداد مبلغ الـ "٣٠٠" جنيه التى أعطاه المترجم
للنجمة لتعود إلى خزانة المخابرات!؟

ولكن كان هناك رأياً داخل الجهاز يرى أن هذه
القسوة التى عوملت بها النجمة لم يكن فى صالح العملية،
ومن هنا تم استرضاءها بالذهاب إليها فى منزلها وتقديم
بعض الهدايا لها على سبيل الاعتذار.

ولكن الملفت للنظر أن النجمة لم ترضخ لهذه الضغوط القاسية، ولم تنفذ بنود الإقرار الذى وقّعه على نفسها، بعد أن شعرت بالمهانة والمذلة من طريقة التعامل معها وهى النجمة التى تلهب المشاعر بإطلاله واحدة منها على الشاشة الفضية، ولم تخش الشريط الذى سجل لها صوت وصورة. وأمام إصرارها وعنادها وعدم رضوخها انتهت علاقتها بالمخابرات، فلم تقبض مكافأة واحدة من مكافآت جهاز المخابرات، لأنها ببساطة لم تقم بعملية واحدة لحساب الجهاز، بعد أن تهربت من الرد على نداءاته، وبعد أن اختفت عن العيون لفترة.

ولكن الصدفة وحدها عادت لتجعل من هذه النجمة ذائعة الصيت حديث كل بيت وكل محب لفنها عندما انتهت حياتها بعد ذلك نهاية غامضة بعد نحو أربعة عقود من هذه المغامرة القاسية.

* * *



سعاد حسنى والسؤال الحير

هل قتلها الموساد؟!

"وعرفت السندريلا حرقية الاختفاء عن عيون الناس.. إنما لا تقوى على مواجهتهم وهم ينادونها بـ"زوزو".. لا تعرف إن كانت هى زوزوز أم لا.. حدث لها هذا عندما تزامن ابتعادها فترة من الزمن عن زوزو مع زيارة ضيف ثقيل هو: المرض"

رغم أن غالبية الناس قد ترى عكس هذا الرأى، إلا أننا نعتقد أن سعاد حسنى لم تكن محظوظة فى حياتها.. نعم سعاد عاشت حياتها سلسلة من العذابات بدءاً من طفولتها التسعة الممزقة وسط (١٧) أخ وأخت، وفى صراعات لا تنتهى بين أب وأم، لا بل أن هذه الصراعات قد انتهت ولكن فى طريق غير الذى يتمناه كل ابن وأبنة، وتنتقل سعاد لتعيش مع زوج أمها الجديد الذى كان أكثر حناناً معها.. ولكنها لم تكن لتتنسى أو تتفصل تماماً عن مشاهد العنف والمذلة التى كانت تسيطر على جو أسرتها الأولى..

وسط هذا الجو نشأت سعاد حسنى وتشكلت الأطر العامة لشخصيتها، وهو ما لم تنجح نشوة الشهرة ولا حياة الأضواء أن تمحى من عقلها بؤس الطفولة وسنوات المراهقة الأولى التى امتلأت بالرفض والرغبة فى الخلاص.

وإذا كان ضرورياً أن نصدق حكاية المشهد الأخير فى حياتها ونسلم بأنها قد انتحرت فلا بد وأن نبحت عن جنور انتحارها بدءاً من سنوات الطفولة ومشاهد العنف بين الأبوين.

و.. كبرت سعاد..

ونجحت..

ولمعت..

وكسبت المال وحب الناس..

ولكنها أيضاً كانت تتعذب..

فمع انطلاق الفراشة الملونة تحوم حول الأضواء، بل إن الأضواء ذاتها كانت هي التي تسعى إليها.. أو تتحاز إليها.. ولذلك كان بديهاً أن تلفت نظر صائدى الفراشات الملونة الذين كان جلّ همّهم فى تلك الفترة هو اقتناص الفراشات ووضع أجنحتها تحت المقصلة.

وبوضوح أكثر..

سواء كانت صحيحة تلك الرواية التى تقول أن جهاز المخابرات بقيادة صلاح نصر قد استطاع أن يصل إليها وأن يضعها (مجبرة) فى خانة (المنذوبات) أم لا، إلا أنه فى الغالب فإن سعاد قد تعرضت لكثير من الضغوط وكثير من المضايقات - كغيرها - ومرة أخرى وجدت سعاد حسنى نفسها تبحث عن.. الخلاص.

وإذا كانت قد نجحت هى من التخلص من هذه المحنة، فإنها وجدت نفسها تقع فى غرام العنديل - عبد

الحليم حافظ - وليسبب أو لآخر لم تستطع الزواج منه، أو إذا كان قد وقع هذا الزواج على حد ترويح عدد من المقربين من النجمين، فإنه من المؤكد أن هذا الزواج لم يستمر ولم يثمر عن لحظات سعيدة لكليهما، وبالطبع فإن هذا قد سبب عذاباً آخر للسندريللا.

نعم.. هي تزوجت بعد ذلك عدة مرات، ولكن الصدف الأولى تبقى هي الأشد والأبقى تأثيراً.

أما النصف الثانى من حياة السندريللا، فقد أصبح هو النصف الأسوأ من عمرها، عندما ذقت طعم الفشل فى كل شئ.. فى الحب وفى الزواج وفى النجومية أيضاً، مع فشل صادف أحد أفلامها "الدرجة الثالثة" - هكذا اسم الفيلم - وعندما زارها المرض ولم يخرج من جسدها ولا من عظامها.. وعندما انحسرت الأضواء.. وتضخم الجسد - الذى كان رقيقاً رشاقة الغزلان.. ثم عندما ذقت الغربة وجربت الوحدة، وتجرعت الاكتئاب..

(ومرة أخرى راحت تبحث عن الخلاص.

لذلك لم تعش سعاد حسنى سوى لحظات قليلة من

عمرها..

ورغم ذلك فإننا نشعر بعظيم الامتنان، وندرك تماماً
جمال وروعة هذه اللحظات التي عاشتها كفنانة مبدعة.
ونتهف جميعاً: ما أروعك يا سعاد.. يا سندريللا.. يا
زوزو.

ولكنها أبداً لم تكن محظوظة.

* * *

وعندى وجهة نظر - وإن كنت لا أملك دليلاً علمياً
عليها بل أن كل ما أملكه فى هذا السياق هو بضعة تجارب
ومشاهدات متأملّة - وملخص وجهة النظر هذه أن الإنسان -
وليس كل إنسان - فى بعض الحالات يستشعر بشكل أو
بآخر مستقبله، وليس أدل على ذلك من أن بعضنا أحياناً
يشعر بوجع غير مفهوم، أو بحزن غير مبرر، ثم يعلن
لبعض المقربين منه أن "شيئاً ما" سيحدث.. ثم يحدث..
بالفعل!

وفى السياق نكتشف أن نهايات "الحزائى" هى فى
الغالب نهايات حزينة أيضاً، فهل الحزن هو "السبب" فى تلك
النهايات، أم أن شيئاً ما أخبر هذا الشخص بمستقبله فساهم
فى رسم ملامح الصورة الحزينة على وجهه.. بل وروحه؟!

والمأمل المدقق لعلامات "الساعات الأخيرة" في حياة المشاهير ممن نعلم حياتهم بكثير من تفاصيلها، يكتشف أن معظم أدركوا نهاياتهم قبل وقوعها، بل وأن بعضهم تحسب لذلك!

ولأنها مجرد نظرية فلسفية تحتاج إلى مناقشات وإلى ملاحظات أدق وأعمق، فإننا سنحاول فقط ملاحظتها على حالة النجمة الساطعة دوماً.. سعاد حسنى..

فهل كان هناك ربطاً ما بين اكتئاب سعاد حسنى المفاجئ وهى فى فترة لا تقل خصوبة ولا مقدرة على العطاء، وبين كونها تعيش الشهور الأخيرة فى حياة أعظم شخصية احتوتها وصادقتها وعلمتها، وشملتها بالرعاية والدفع والشعور بالحب والأمان.. وهى شخصية العملاق متعدد المواهب صلاح جاهين؟

هل خافت سعاد أن تفقد صلاح جاهين ففقدته بالفعل؟ أم أن "راداراً" خفياً أطلعها بقرب النبأ المشؤم، فتحصنت له بجرعة واقية من الحزن والاكتئاب؟!

هل بداخلنا حقاً هذا "الجهاز" الكاشف للمستقبل؟ أو على الأحرى.. هل هو متوافر داخل "بعضنا"؟

وإذا استمرينا فى هذا التفسير، فلعله ينطبق أولاً على "صلاح جاهين نفسه، الذى دخل فى قوقعة الاكتئاب بكامل إرادته، ورغم ما يتردد عن وجود أسباب قوية أدت به إلى هذه النتيجة المحزنة، إلا أنه قد يكون خوف صلاح جاهين من هذه النهاية هو الذى قاده إليها سريعاً!

وقياساً: هل كانت تشعر السندريلا بدنو نهايتها المفجعة على هذا النحو الذى صدم الملايين من عشاقها؟ هل كانت تعرف مبكراً أنها ستلقى بنفسها - أو سيلقى بها - ليهوى النجم الساطع، ويبقى فقط ضوءه المشع، تماماً كما يخدعنا ضوء آلاف - أو ملايين - النجوم الساطعة فى كل ليلة، ثم يصدمننا علماء الفلك بأنها رحلت..

هل كانت تعرف السندريلا مبكراً أنها - كنجوم أخرى - سوف تحترق على هذا النحو المفجع، ولن يبقى إلى ضوءها نراه ولا نستطيع أن نلمسه؟!

هل اكتأبت لأنها كانت تشعر بالخطر..؟ أم لأنها كانت على يقين من النهاية؟

ورغم أننا لسنا من المذعورين القائلين بأن وراء كل ما لا نستطيع تفسيره - فوراً - مؤامرة ما، ونؤمن بأن

نظرية المؤامرة غالباً ما تكشف عن فكرة مهزوز إذا لم تكن تستند على الدليل القوي، رغم ذلك فإننا نؤمن أيضاً بأن كل شيء يجب أن يناقش.. يحلل.. يوضع تحت المجهر.. أو تحت شمس المعرفة.

كانت النهاية المفجعة للسندريللا سعاد حسنى أكبر من احتمال عشاقها..

وكما يحدث لكل الشخصيات الاستثنائية فى التاريخ راح البعض ينسج حولها الحكايات والأساطير..

قالوا إنها سقطت بعد أن فقدت توازنها، ثم وجدوها حكاية عادية لا تليق بشخصية غير عادية فعدّلوا فى الخبر: بل انتحرت سعاد.. أيضاً لم تكن هذه النهاية ترض البعض فقالوا: بل قام الموساد - جهاز المخابرات الإسرائيلى - بتصفيتها!

أما الأطراف والأغرب والأكثر إثارة فهو ما قاله شاعر عامية مرموق: لقد قتلها مسئول مصرى!!
تعالوا نقرأ الحكاية..

ولكى نتعرف أكثر على ما حدث لسعاد حسنى تعالىوا
نقرأ هذه المشاهد من حياتها من البداية حتى اللحظات
الأخيرة..

فعن الجو الذى نشأت فيه السندريلا يأتى هذا المشهد
الذى يصفه محمود عوض: قال: (فى سنوات سعاد كان
الزمن بخيلاً وسخياً، حليفاً وعدواً، دافعاً لها وسيفاً عليها. هى
من أسرة رفيقة الحال ضمت (١٧) أخاً وأختاً. الأب خطاط
موهوب لكنه مزواج. البنت الصغيرة اللهلوية تعيش فى
خلافات دائمة بين أبوين مطلقين.. فى السياق أصبحت شقيقة
كبرى لها من الأب - هى نجاة - مطربة فى الإذاعة..
وشاركت سعاد فى صغرها فى برامج "بابا شارو" للأطفال.
أما التحول الكبير فى حياتها جاء من مكتشفها عبد
الرحمن الخميسى، وهو رجل متعدد المواهب: فنان وكاتب
وموسيقى وشاعر ومترجم، وصاحب عين مدربة على التقاط
المواهب وينفس هذه العين رأى الخميس فى سعاد "نعيمة"
الشخصية الفولكلورية المعروفة باسم "حسن ونعيمة" التى
أعاد الخميسى صياغتها لتصلح للسينما بعد أن قدمتها كريمة
مختار للإذاعة عن نص عبد الرحمن الخميسى أيضاً.

قفزة أخرى:

وفي مكتب عبد الوهاب الذي قرر التصدي لإنتاج أول أفلام سعاد حسنى "حسن ونعيمة" ومن إخراج بركات - مخرج أفلام فاتن حمامة - وقفت السندريلا الجديدة بكل جرأة تقول لعبد الوهاب: والنبى يا أستاذ.. أنا نفسى أغنى كمان فى الدور ده!

وبكل ثقل عبد الوهاب سألها: إتنى ليكى فى الغناء؟
(قالت: آمال إيه يا أستاذ.... وانطلقت تغنى "كل ده كان ليه".

ولكن بحرص عبد الوهاب المعروف: قال: نأجل موضوع الغناء شوية.. خبطتين فى الرأس توجع.

القفزة الكبرى فى حياة السندريلا كان عنوانها "زوزو" وزوزو اسم أشهر شخصية صنعها صلاح جاهين وحققت القفزة الكبرى فى تاريخ وحياة السندريلا، لدرجة أنها كانت تسجل على تليفونها المحمول جملة تقول فيها "أنا زوزو النوزو كوانوزو" فقد كانت تعتر بنجاحها الساحق فى هذا الدور ونحن الآن فى جلسة على النيل جمعت بين سعاد حسنى وصلاح جاهين ليتكلم معها عن فكرة هذا الفيلم الذى

يأتى فى أعقاب الجراحة الشاملة للحياة المصرية عقب نكسة ١٩٦٧، فكان هذا الفيلم الذى ابتعد عن السياسة ووجع القلب واختار سرد قصة حب بين فتاة بسيطة وشقية: ترقص وتغنى وتمثل .. تحب!

ووصف صلاح جاهين وبحق أنه المكتشف الثانى لسعاد حسنى أو "السندريللا" وعندما رأى كمال الطويل سعاد حسنى تحمس لها ووضع لها لحن "يا واد يا تقيل" اللحن الأساسى للفيلم الذى يعبر عن مضمونه والذى أصبح قبلة الموسم!

وظل دور "زوزو" هو اللمسة السحرية فى علاقة سعاد حسنى مع جمهورها وظلت سعاد تستعيد كثيراً من ذكرياتها مع "زوزو" حتى بعد أن قدمت العديد من الأفلام بعضها نجح جداً وبعضها "عادى" وحتى فيلمها الذى يعد تنويعات على تركيبة "زوزو" وأقصد به "أميرة حبي أنا" الذى وضع ألبانه كمال الطويل (كاملة) ورغم نجاح "الدنيا ربيع والجو بديع" إلا أن زوزو كان له مذاقاً آخر فى داخلها.. وعرفت السندريللا أو "زوزو" حرفة الاختفاء عن عيون الناس.. أنها لا تقوى على مواجهتهم وهم ينادونها

بـ"زوزو".." لا تعرف إن كانت هي لا تزال زوزو أم لا، حدث لها هذا عندما تزامن ابتعادها عن زوزو فترة من الزمن ومع زيارة ضيف ثقيل هو: المرض.

وهنا يقول محمود عوض: "مع الزمن استجد خصم آخر: المرض، فمع إصابة سعاد حسنى بشرخ فى العمود الفقرى وعلاج خاطئ فى البداية، أصبحت آلامها لا تطاق، بعدها أصبحت نفس الأدوية التى تسكن آلامها هى التى تسبب لها زيادة الوزن، وهو ما يؤدى بدوره إلى ابتعاد عن حالة اللياقة البدنية التى تريدها لنفسها، وكلما نظرت سعاد حسنى فى مرآتها تبحث عن "زوزو" تجدها أبعد.. وأبعد.. الحلم يهرب وفى فراغه يجئ شئ آخر: الاكتئاب.

ومن بين ٨٢ فيلماً سينمائياً بدأ التردد فى العلاقة ما بين سعاد حسنى والكاميرا والجمهور اعتباراً من فيلم "المتوحشة" وهو الذى أنتجته سعاد لنفسها "١٩٧٧" واضطرت إلى تصوير نهايته مرتين مختلفتين، أما فيلمها الأخير هو "الراعى والنساء" الذى كان أكبرهم سعاد خلال تصويره هو إخفاء متاعبها الصحية التى كانت قد استشترت مع زيادة الآلام.

وبعدها بدأت سعاد رحلات العلاج ما بين باريس
ولندن ومع زيادة وزنها أصبحت تصوم عن الصور الذى
أصبح من بين ممنوعاتها. وحالة كهذه لم تكن تغرى أى
جهاز مخابرات - الموساد أو غيره - من الاقتراب من
صاحبها!

لقد وصل الأمر فى غربة سعاد حسنى وانطوائها
وانزوائها بعد عشر سنوات من الغياب المنقطع والسفر
 وإعادة السفر والمرض والصحة، أن تموت بالسقوط من
شرفة بالطابق السادس من بناية ضخمة بها عدد من
المصريين لم يدر أحد منهم بوجود سعاد بينهم.. سعاد التى
كانت لا تفارقها الفلاشات ولا نظرات المتطفلين.. أصبحت
سعاد وحيدة.. بإرادتها.. منكسرة - بغير إرادتها - تضع
النظارة السوداء على عينيها لتتخفى عن أعين المحبين قبل
المتطفلين.

وننتقل بسرعة إلى مشهد آخر اختلطت فيه الكوميديا
بالمأساة، وبالرغم من سرعة انتقالنا إلى هذا المشهد. إلا أن
ما بين المشهدين - السابق والحالى - مر على محبى سعاد
كالدهر من فرط الحزن الهستيرى الذى أصاب كثير من

عشاقها، المشهد تدور أحداثه فى صالة الوصول بمطار القاهرة الدولى حيث عدد من الفنانين والجمهور فى انتظار جثمان سعاد.. الآن وصل الجثمان بمصاحبة صديقتها التى عاشت السندريللا فى شقتها ساعاتها الأخيرة.. المفاجأة فى المشهد هو تحول الأنظار من ذلك الصندوق الكئيب الذى يضم بين جنباته المظلمة جثة سعاد وهى لا تزال ساخنة - إن صح التعبير - إلى خناقة.. نعم خناقة بين عدد من رجال الفن وحريمه وبين صديقة سعاد - واسمها نادية يسرى - وتتناثر الاتهامات ما بين القتل والتدبير للقتل أو على الأقل إخفاء المعلومات.. ويتم بالفعل توجيه اتهام رسمى لأجهزة التحقيق بهذا المعنى!

ووصل الأمر إلى حد توجيه أصابع الاتهام تجاه جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" وهنا يعلق الكاتب محمود عوض قائلاً: "الغريب أن الذين أفتوا بذلك هم الذين يستهلون إعطاء الموساد ما لا تستحقه.. وهو كثير.. بينما هم فى نفس الوقت يغضون الطرف عما تقوم به "الموساد" فعلاً.. وهو خطير..

ويمكن إضافة بعض "الأصوات" إلى الصورة في هذا المشهد، فالبعض قال أن جيران سعاد - من العرب والخوارج - قد سمعوا أصواتاً من الخبط والرزح وأ، هذه الأصوات العالية استمرت لنحو خمس عشرة دقيقة وبعدها جرى سقوط أو إسقاط سعاد من الطابق السادس، وأضاف هؤلاء - وهم من أنصار نظرية التآمر على سعاد لحساب الموساد الإسرائيلي، أن لدى الشرطة البريطانية بلاغاً من هؤلاء السكان الجيران هو بحد ذاته أحد أدلة الاحتمالات الجنائية في موت سعاد حسنى. ولم يذكرن أحداً اسماً واحداً لأولئك الجيران الشاكين، وبالتالي فالباب لا يزال مفتوحاً لكى تصبح الشرطة بدورها متواطئة فى قتل سعاد حسنى.

والكاتب محمود عوض يرى أنه كان الأجدر بأقرباء السندريللا أن يتوجهوا بالشكر إلى تلك السيدة المصرية القادمة مع جثمان سعاد حسنى، بدلاً من توجيه الاتهام لها بإخفاء مجوهرات سعاد ومذكراتها المكتوبة.. وإن كان بصفته من المقربين يؤكد على أن سعاد لم تكن فى أى وقت من هواة المجوهرات.. ولا كانت أيضاً ضليعة مع الورق والقلم والكتابة والتأملات الفلسفية.. كما أن عشقها للحياة

وثقتها بقدرتها على الاستمرار فى العطاء الفنى يتنافس أصلاً مع فكرة تسجيل مذكرات، والحكاية كما يفسرها محمود عوض أن صديقة سعاد جاءت مع جثمانها فى الطائرة بكل متعلقاتها وحقائبها، ولأنها رفضت تسليم تلك الحقائب إلى بعض هؤلاء الأقارب دون بعضهم الآخر.. وقررت منذ البداية تسليم الحقائب إلى سلطات مطار القاهرة للتصرف فيها قانونياً، فقد أصبح التشهير بها هو الانتقام الفورى.

وهكذا تحولت الملهاة إلى مأساة سوداء، والملهاة جوهرها ركوب الموجة أو بلغة السينما سرقة الكاميرا.. سرقتها من الجمهور العريض الملتاع ومن سعاد حسنى نفسها جوهر المأساة، وهى التى عاشت طوال عمرها تسرق الكاميرا، أو على الأدق كانت الكاميرا تسرق سعاد من نفسها، فقد كانت الكاميرا تتحاز إلى سعاد على طول الخط..

وهكذا استطاع محمود عوض أن ينسف فكرة دور المخابرات فى موت سعاد حسنى بل إنه استطاع بمهارته فى الرصد والتحليل ومن واقع قربه الشديد من السندريللا أن تسخر من الفكرة وأن يجعلها مجرد فكرة بلهاء هدفها سرقة الكاميرا فى مشهد "جنازة" حضرته آلاف من محبى سعاد

بالإضافة إلى عدسات الصحف وشبكات التلفزيون. وإن كان هناك صوت من أقارب السندريللا قال مؤخراً بأن هناك جريمة قتل وقعت بهدف السرقة، وبالتالي خفت صوت الاتهام بالعمل المخابراتي.

خارج الكادر

ومع خروج عشرات الآلاف من الشبان فى وداع سعاد حسنى بالقاهرة.. كان شلال الحب يحيط بها من جديد.. وكانت الرسالة واضحة بغير فذلكة ولا فلسفة. الرسالة هى: أن الفن ممتع.. ومبهج للجميع والمشتغلين بالفن فى قلب عشاقه.

لقد كانت الدموع فى عيون الجمهور صامتة. وناطقة، هى دموع عرفان وسعادة أعطتها لهم سعاد حسنى وكل من صنعوا مشوارها، وهى كذلك دموع حسرة على أن سعاد حسنى كانت تستطيع إعطاء المزيد.

وحتى كتابة هذه السطور لم يحسم اسكتلنديارد الموقف فى البلاغ المقدم من أسرة سعاد حسنى، ولم تقل حتى هذه اللحظة كلمتها الأخيرة، إلا أننا نميل إلى الرأى الذى يقول به الكاتب محمود عوض من عدم وجود دليل -

قوى ولا ضعيف - لتورط جهاز مخابرات معادى فى مصرع سعاد، وإن كانت مثل هذه العمليات المشبوهة ليست بعيدة عليه، ولكن مبدأ "المصلحة" هنا غير موجود من أصله. ولكننا - فى السياق - نجد أنفسنا غير مضطرين على الإطلاق لمناقشة وجهة نظر أطلقها الشاعر أحمد فؤاد نجم فى أحد برامج الفضائيات اللبنانية على الهواء مباشرة فى حلقة استثنائية من البرنامج كنت شخصياً أتابعها وأنا ما بين الضحك الهستيرى وبين عدم التصديق، بعد أن تحولت "الخيالات" إلى شئ يذاع ويناقش عبر الأثير وأمام عشرات الملايين من المشاهدين الطيبين، فقد كان ما يقوله العم "نجم" شئ أشبه بجلسات المصاطب التى غاب عنها المنطق!

وبقدر ما كانت تمتعنا سعاد حسنى بفنها الراقى أمام الكاميرات بقدر ما كانت تتألم خلف الكواليس..

كثيرون يعلمون نوبات الاكتئاب التى كانت تسيطر على نجمتنا الراحلة، فتقف حائلاً بينها وبين الاستمتاع بحياتها على النحو الذى تريده.

ليس هذا فقط.. بل كان يقضى على كل رغبة بداخلها للعمل أو لرؤية الأصدقاء، أو ممارسة متعة الحياة،

وهذا هو سر الظهور المفاجئ لسعاد حسنى بنفس قوة الاختفاء المفاجئ.

ورغم أن قليلين هم الذين يستطيعون أن يتوصلوا إلى سر اكتئاب سعاد حسنى، إلا أن الكثيرين تفهموا وتعاطفوا مع الظروف النفسية الصعبة التى مرت بها عقب حالة عدم التوفيق فى أحد أعمالها الفنية، ثم ازداد الأمر سوءاً بعد التغييرات الشكلية التى بدأت تقلقها وهى أشد ما كان يشغلها.. أعنى صورتها فى عيون عشاقها.. فهل كانت تكتم أسراراً بداخلها تعذبها وتتعب معها؟

أم أن (المستقبل) كان هو هاجسها الأول والأخير؟ وفى محاولة لفهم أعماق سعاد حسنى النفسية دار بينى وبين الدكتور عادل صادق عالم النفس المعروف هذا الحوار، حول سطوع شمس نجوميتها وأقول نجمها، الحياة والرحيل.. الغربة والعزلة..

* قلت: هل كانت سعاد تتمتع بكاريزما القبول التى يتمتع بها بعض كبار المشاهير.. وما هى درجة خصوصية هذه الكاريزما فى حالة سعاد؟

- سعاد حسنى على وجه الخصوص كان لها
كاريزما خاصة، أى قبول جماهيرى واسع وقدرة على
التأثير.. وهذا هو معنى الكاريزما.. القبول والتأثير.
والقبول قد يصل إلى درجة الحب، فيصبح المشهور
زعيماً أو فناناً موضع حب لدى الجماهير، وحظى بذلك فقط
جمال عبد الناصر كما حظيت بها أم كلثوم وعبد الحليم حافظ
وسعاد حسنى.. فقط لا غير!

* تساءلت: ما سر هذه الكاريزما التى جعلنا نحفظ
بصور سعاد حسنى - ومن ذكرت - فوق أسطح مكاتبنا،
ونزين بها جدران بيوتنا، ومن قبل كل ذلك ومن بعده نطبع
صورها فى قلوبنا فنبدو كالمراهقين المتعلقين بنجومهم.. فما
سر سعاد حسنى تحديداً؟

- يقول الدكتور عادل صادق وهو يتعمق فى السؤال
ليمنحنا أدق إجابة ممكنة: سر كاريزما سعاد هو شحنة
التفاؤل التى كانت تدفع بها إلى نفوس الناس، فهى مرحلة إلى
أقصى حد، وبسيطة أى قريبة من الجماهير العريضة، ولذا
اكتسبت شعبية ضخمة، وكانت ترضى كل احتياجات

الجمهور من الفن: رقص وغناء وتمثيل. وكان أثر ما يميز
أداؤها "الطبيعية".

* قلت: هل هناك عوامل أخرى متعلقة بشخصيتها،
ساهمت في تشكيل نجومية سعاد حسني؟

- سر نجوميتها أنها فذة.. موهبة بلا حدود. تكاد
تكون أكثر فنانة في عصرها وما قبل عصرها وما بعد
عصرها.

ثانياً: هي تتمتع بوجه ليس جميلاً فحسب ولكنه
ودود.

ثالثاً: ابتسامتها تجعلك تتشرح.. انشراح الصدر.
رابعاً: إنها فنانة شاملة.

* سألت: إنه أصبح من المألوف أن نقول عن فنان
ما أو فنانة ما أنه نجوم الشباب، وذاك نجم جيل الآباء - مثل
محمد عبد الوهاب - إلا أننا في حالة نجمتنا سعاد حسني
نلاحظ إجماعاً من الشباب والكبار عليها، لدرجة أن حلقات
تليفزيونية تعد العمل التليفزيوني الوحيد لها وبعنوان: "هي
وهو" قد أضافت لها جمهوراً من الأطفال الصغار إلى جانب
عملها السينمائي المهم "صغيرة على الحب" الذي أدت فيه

شخصية طفلة وقدمت فيه استعراضات مبهرة.. كيف اجتمع عليها مزاج الصغار والكبار؟

- يقول الدكتور عادل صادق: أجمع عليها الشباب والكبار لأن الشباب توحد معها، والكبار عاشوا من خلالها شبابهم.. كانت رمزاً للشباب والحياة والحب والمرح والتفاؤل والشقاوة.. كانت رمزاً للجمال.. رمزاً للحياة.. رمزاً للبساطة.

هكذا كانت عبقرية سعاد حسنى.

* هل ترى معنا جاذبية خاصة فى ابتسامة سعاد حسنى، لدرجة أنه من النادر أن نلمح صورة لها فى أرشيفها وهى لا تبتسم؟

- ارتبطت سعاد حسنى بالبهجة لأن هذه هى طبيعة شخصيتها، وهى شخصية "انبساطية".. هذا هو اسم شخصيتها فى الطب النفسى، وهى شخصية تتسم بالمرح الشديد، وسرعة البديهة، والحضور والتأثير على الجماعة ودفعهم إلى الابتسام، بل والضحك من القلب وتجمع الناس حولها، وهى لا تعيش إلا مع الناس وبالناس.. لا ترى إلا الجانب الجميل فى الحياة وتقنع الناس بالجمال والحب،

واكتشف فيها المخرجون هذه الموهبة فاستثمروها فى هذه النوعية من الأدوار .

وهكذا فعل كمال الطويل، فألحانه لها شديدة المرح والتفاؤل، وفى رأى كمال الطويل أن سعاد حسنى هى أعظم من غنت له .

* رغم أن شخصيتها مرحة وانبساطية كما يسميها علم النفس، ومع ذلك ينجح الاكثاب اللعين فى اختراق عقلها ووجدانها إلى هذا الحد؟

- نعم وللأسف الشديد فإن أصحاب هذه الشخصية معرضون للاكثاب، فالأشخاص شديدي المرح قد يصابون بالاكثاب.. وهذا هو ما حدث مع سعاد حسنى .

* كان صلاح جاهين هو الصديق الصدوق لها، وكان أستاذها والقارئ نيابة عنها، والمؤنس لوحدها، والنافذة إلى أفكارها.. كيف ترى اجتماع هذا الثنائى المبدع على موجة واحدة؟

- سعاد حسنى أكملت فى صلاح جاهين الجانب الذى يفتقده فى نفسه، صلاح جاهين كان شخصية اكتئابية، أما سعاد حسنى فشخصية انبساطية، والشخصية الاكتئابية

تحتاج إلى شخصية انبساطية لتتربى بها الجانب المتفاعل من الحياة، ولهذا فإن صلاح جاهين ارتبط بها ارتباطاً شديداً، وهو ارتباط "الحاجة" الذى تحول إلى صداقة وحب.

واكتشفت سعاد حسنى فى صلاح جاهين الجانب الاكتئابى الذى كان قابلاً فى داخلها، واكتشف صلاح جاهين أن بداخلها اكتئاباً مثلما فى داخله اكتئاب..

ولذا كان صلاح جاهين أنيسها وجليسها لأن الوحيد الذى كان يفهمها.. الوحيد الذى رأى الاكتئاب بداخلها..

كل الناس لا تعرف عن سعاد حسنى إلا الجانب المبهج، أما صلاح جاهين فعرف كلا الوجهين، ولذا استراحت له سعاد حسنى، فنحن نستريح للأشخاص الذين يفهموننا، ولقد أصيبت سعاد حسنى بعد ذلك بنفس المرض الذى أصيب به صلاح جاهين وأودى بحياته مثلما أودى بحياتها..(٩).

* هل تركيبة سعاد حسنى، بسنوات الإنكسار بعد عقود من النجاح، يمكن أن تؤدي بها إلى الانتحار؟

- سعاد حسنى كانت مصابة بمرض الاكتئاب، وهو مرض دورى يأتى فى صورة نوبات قد تفصلها سنوات،

ويشعر المريض فى نوبة الاكتئاب بالحزن وفقدان الرغبة وفقدان الحماس فى كل شئ.. ينعزل.. ينطوى.. يصاب بالعجز.. يشعر بالذنب.. يؤنب نفسه.. يضعف، فينكسر، ويفكر مرض الاكتئاب فى الانتحار حينما تصبح الحياة معذبة، حين تنسد كل الطرق.. حينما يصبح كل شئ شديد السواد، حين لا يجد مهرباً ولا مفرأً، ويكون الانتحار هو الوسيلة الوحيدة للخلاص (هل هذا هو ما حدث مع سعاد؟!).

* هل اكتئاب (الفنان) يكون أشد فتكاً؟

- الفنان الحقيقى أكثر الناس عرضه للاكتئاب، ونظراً لطبيعة عمله فإن اكتابه يكون أشد، وخاصة إذا أفلت شمسُه وانحسرت عنه الأضواء (مرة أخرى هل هذا هو ما حدث مع سعاد؟!).

وأطلقت سؤالى الأخير فى اتجاه دكتور عادل صادق فقال:

نعم.. هذا هو ما حدث مع سعاد حسنى، وخاصة بعد أن زاد وزنها وخافت على صورتها فى عيون الناس.

* ما حجم الخسارة برحيل سعاد حسنى التى تمثل تجربة غاية فى الثراء على المستويين الفنى والإنسانى؟

- أكثر ما خسره التاريخ هو عدم كتابتها لمذاكراتها
نظراً لثراء حياتها واتساعها، وعمق علاقاتها وخبراتها على
كل المستويات.

ويبدو من اتجاه الريح فى هذا الحوار أنه يسير فى
طريق يفترض منذ ناصيته انتحار سعاد حسنى بسبب اكتبائها
وانعزالها وانكسارها، وهو افتراض لا يأتى على هوى من
يقولون بمصرعها بفعل فاعل، لأن النهاية الثانية التى تربط
النهاية بأعمال المخابرات والقوى الخارقة تتفق أكثر مع جو
الأساطير الذى يجب الناس ومنهم - كثير من الفنانين أنفسهم
- أن يربطوا بينه وبين الأسماء الاستثنائية فى التاريخ.

١٢

عملية

سمير الإسكندراني

”ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا هم أنهم قد نجحوا في اصطاده، وعاد مسرعاً إلى مصر دون أن يثير ريبهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات (العربية) - العامة - في القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة ثم طلب مقابلة رئيس الدولة - جمال عبد الناصر - شخصياً ليطلعهم على التفاصيل..

وكانت التفصيل أكثر من مثيرة..

إنها قصة المطرب سميح فؤاد الإسكندراني..

كانت قضية الجاسوسية التي فجرها نجم الغناء المطرب سمير الإسكندراني، ولعب فيها دور البطولة في نهاية الستينات والتي كشفت من بين ما كشفت عن وطنية هذا الشاب الذي كان يتفجر بالموهبة ويمتلئ بالطموح، ولكن طموحه وشبابه المنذفع لم يكن أحدهما عاملاً من عوامل توريثه في الفخ الذي نصب له في إحدى المدن الإيطالية حيث كان يدرس الأدب الإيطالي، بل إن وطنية سمير الإسكندراني كانت هي المحرض والمشجع له ليكشف عن شبكة تجسس إسرائيلية كان قد زرعها الموساد في عدة عواصم عالمية منها بالطبع القاهرة. وكان من بين أخطر ما كانت تهدف إليه الشبكة التي تعمل بتخطيط وإشراف مباشر من جهاز الموساد الإسرائيلي، اغتيال الزعيم والرمز المصري جمال عبد الناصر ومعه المشير عبد الحكيم عامر باعتباره مسئولاً عن جيش الدفاع المصري وقتها.. وهو الخبر الذي هز مصر كلها في ذلك الوقت، ولم يدل بتفاصيله الفنان سمير الإسكندراني إلا في حضرة الزعيم جمال عبد

الناصر، وفي المتواضعة التي كان يسكنها في منشية البكرى بالقاهرة.

واستطاع سمير عن طريق خطة محكمة وضعها جهاز المخابرات المصري، أن يغرر بعملاء الجاسوسية الإسرائيلية وأن يجذبهم من أوكارهم في إيطاليا والنمسا وعدة عواصم أخرى ليقعوا في قبضة المخابرات المصرية.

تظاهر سمير أمام عملاء الموساد الذين كلفوا بتجنيدِه أنه ساخط على أوضاع الشعب العربي وعلى قيادته، وساعده في ذلك أسلوب حياته المتحرر كشاب يعشق الحياة، يسهر ويرقص ويمرح بعكس الشباب المنكسر، المنطوى، الخائف من المجهول في بلاد الغربية..

وكانت النتيجة أن وثق به عملاء الموساد وضموه إلى منظماتهم وشبكاتهم المخربة التي كانت تسعى في الأرض فساداً، وظنوا أنهم وجدوا في "الإسكندراني" ضالّتهم كعميل يمكن أن يخون بلده وأهله وناسه ورموز هذا البلد، فما كان من سمير بعد أن أيقن خساسة أهدافهم وحقيقتهم، وأنهم ناس يعملون على زعزعة استقرار بلده، وأنهم يطلبون

منه خيانة الوطن والمبادئ والقسم الذى يتلوه كل وطنى بقلبه
تجاه وطنه منذ لحظة الوعى.

ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا هم أنهم قد
نجحوا فى اصطیاده، وعاد مسرعاً إلى مصر دون أن يثير
ريبهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات (العربية) - العامة -
فى القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة ثم طلب مقابلة
رئيس الدولة - جمال عبد الناصر - شخصياً ليطلععه على
التفاصيل..

وكانت التفاصيل أكثر من مثيرة..

إنها قصة سمير فؤاد الإسكندراني، الذى طُلب منه
أن يستمر فى لعبته وخداع الموساد حتى سقطت ست خلايا
تعمل لحسابها وقدموا جميعاً إلى القضاء الذى حكم بإعدام
بعضهم.. وكان سمير قد سافر إلى روما لدراسة اللغة
الإيطالية، والطريف أن قرار السفر والدراسة كان بتأثير حبة
لبنت الجيران واسمها "يولاندا" كانت هناك عاطفة مشتركة
بينهما، وكثيراً ما اشتركا فى نزاهات على كوبرى قصر
النيل، وأراد أن يتعلم الإيطالية ليجيد التفاهم معها، خاصة أنه
أنهى دراسته بتفوق فى كلية الفنون الجميلة (سمير فنان

تشكيلي رائع)، ومن أجل عيون يولاندا أحب سميّر كل ما هو إيطالي، وظفر بمنحة لتعلم اللغة الإيطالية في بيروجيا - إحدى المدن الإيطالية التي تبعد عن روما بمقدار مائتي كيلو متر تقريباً وهي مدينة جبلية سياحية ساحرة - وأتقن سميّر اللغة الإيطالية، واستطاع أن يلتحق بمهنة مدرب سباحة للناشئين فهو أيضاً سباح ماهر، ومع ظهوره بقوة في المجتمع الإيطالي شعر بنظرات حقد من جانب بعض الطلبة اليهود بالتحديد.

لمس ذلك عندما كان الطلبة العرب يحتفلون بعيد الثورة المصرية في أحد قاعات جامعة بيروجيا، وإذا بالتيار الكهربائي ينقطع ليكتشفوا أن ذلك بفعل فاعل، وأن الفاعل هو أحد الطلبة الإسرائيليين.

إلى أن بدأت خطوات استمالاته أو على الدقة تجنيده! كان سميّر يلعب البلياردو في نادي الجامعة، ولاحظ رغم انهماكه في اللعب أن شخصاً ما ينظر إليه في اهتمام بالغ، وعندما يلتقي نظريهما فإن الشخص الآخر يبتسم، وبدأ التعارف:

- أنا سليم.. أدرس الذرة في لندن.

- وأنا سمير أدريس اللغة الإيطالية فى بيروجيا.
أول ملاحظة لسمير على هذا الشاب أنه يتحدث اللغة
العربية بطلاقة، ويحفظ الأمثال الشعبية المصرية عن ظهر
قلب، وفى نفس الوقت ويجيد ثلاث لغات فضلاً عن العربية
هى: الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.
أما الملاحظة الثانية على هذا الشاب الغامض هى أنه
يجيد الألعاب السحرية، ومعه سرب من الفتيات الرائعات
الجمال وأنه ينفق عليهن ببذخ.
أما عن جنسيته فكانت غير واضحة فمرة يقول إنه
مصرى، ومرة أخرى يقول إنه من أصل يونانى، وذات يوم
طلبت فتاة من مرافقاته أن تراقص سمير، وكانت غاية فى
الجمال، فقال لها سمير إنها تشبه "أنيتا إيكبرج" فقالت له:
أنت ذكى لقد عرفت بسرعة الشبه بينى وبينها، واحبته الفتاة
وصارحت "سليم" بذلك، فقال لسمير: لولا أنك صديقى لفتلك
فإن "بوسى" أثمن صيد وقع فى شباكى!
ولفت نظر سمير الإسكندرانى فى سليم أنه يحمل
جواز سفر أمريكى ولم يكن هذا بالشئ السهل وقتها.

وذات مرة لعب الخمر بعقل سليم ليقول لسمير: أنت
لست كالمصريين يا سمير، فالمصريون "أقفال"، وبدأ العداء
واضحاً في لغة سليم.. وأضاف: قل لى ما هى أحلامك؟
فقال سمير: أريد أن أدرس الديكور السينمائى فى
روما.

فدق المائدة التى أمامه بيده وقال: إذا فسأقدمك لمن
يساعدك! وبعد عدة أيام دخل سليم ليقول: هيا الرجل فى
انتظارك؟

- قال سمير مندهشاً: أى رجل؟

- إنه صديق تطوع ليجد لك عملاً.. هيا أسرع لا
تضيع الفرصة الذهبية. لمعت فى رأس سمير حيلة تجعل هذا
الشاب الغامض يكشف أكثر عن نفسه.. فقال له: يا سليم..
نحن أصحاب - ألا تقول لى جنسيتك؟

- قال سليم: جنسيتى أمريكية وأستطيع أن أحصل
لك على مثلها!

وحاول سمير الإسكندراني أن يكشف أكثر عن خبايا
هذا الشاب الغامض، فبدأ يحكى له قصصاً مختلفة ليوهمه
بأنه مطمئن له، فألعه سليم على مقال فى مجلة أمريكية قائلاً

له: إنه هو كاتبه، وأنتك - سمير - تستطيع أن تكتب عشرات المقالات عن مصر وتكسب ألوف الدولارات باعتبار أن ثمن المقال الواحد هو (٧٠٠) دولار، وطبعاً المقال لابد أن يتضمن معلومات، والمعلومات تحتاج إلى تحرى وإلى استطلاع، وفي روما نزل الإثنان في فندق متواضع للغاية اسمه "بنسيون القمر" وفي غرفة قبيحة تركه لبعض الوقت. كانت كافية لأن يصلى سمير الإسكندرانى خلالها ركعتين لله الخالق الواحد الأحد ويدعو ربه:

- يا رب إنهم يريدونم شراً ببلدى ولست أدرى حدود هذا الشر، ولا أتبين إلى تلك اللحظة معالمه أو مداه.. ولكنى أدعوك يا خالقى.. يا رب انصرنى".

وفي الصباح نظر للمرأة.. وكان على وجهه شحوب، وحول الجفون هالة تشهد بالأرق، وتناول طعام الإفطار فى ترقب وقلق منتظراً ما سيسفر عنه قدوم "سليم" وجاء سليم ليأخذه فى جولة لرؤية معالم روما، وفى التاكسى الذى أقلهما فاجأه سليم بهذا السؤال المباشر:

- ما رأيك فى جمال عبد الناصر؟

وراوغ سمير فى الإجابة، ليمر هذا اليوم دون جديد،
وفى اليوم التالى جاء سليم وهو يصطحب معه فتاتين من
أجمل بنات العالم، تشبهان مارلين مونرو، وجينا لولو
بريجيدا ويتحدثان بإثارة وإغراء!!

ولكنه مرة أخرى لاحظ سمير أن محور الحديث عن
مصر وسوريا! فما علاقة فتاتين لعوبتين بالسياسة،
وبالسياسة العربية على وجه الخصوص؟ (وقد كان وقتها هو
وقت الوحدة بين مصر وسوريا) ولم يكن سمير يعرف أين
يسكن سليم فى روما، وقد كان هذا لغزاً آخر، لدرجة أنه
سأله ذات مرة: يا أخى أليس من حقى أن أعرف عنوان
الرجل الذى ارتبطت به حياتى!

والمدهش أن هذه العبارة أعجبت سليم جداً ولكنه قال
فى مراوغة:

- ابقى أنت فى البنسيون وأنا سأمر عليك كل صباح
لنقضى طوال اليوم معا!

وأضاف: يا صديقى.. ماذا تريد أكثر من هذا.. أنت
فى روما وسط أجمل الجميلات والوقت اللطيف.. أليس هذا
يكفى!؟

ولكن سمير كان تواقاً لوقت أمتع من هذا، الوقت الذى يكشف فيه الستار عن نهاية هذه القصة المثيرة التى يعيش فصولها، ولا يدرى هل ينجح فى أن يقدم شيئاً لبلده وهو فى هذه السن المبكرة من حياته، لينضم إلى قائمة المجاهدين الوطنيين الذين يسعون لتتقية بلدهم من هؤلاء العابثين المخربين، أم أنهم سيكتشفون وطنيته مبكراً ومن ثم يسعون للتخلص منه.. إنها مغامرة لم يكن أحد يعلم نهايتها حتى تلك اللحظة.. ولكنه كان حذراً إلى أقصى درجات الحذر، فقد كان يعود إلى غرفته فى ذلك البنسيون المتواضع ليستعيد كل كلمة بل كل حرف نطق به سليم، ليحلل ماذا يقصد، وهل يشك فيه، وزاد الأمر إثارة أن سمير كان يشعر بأن هناك من يراقبه داخل الفندق وخارجه، لدرجة أن سليم كان يقتحم عليه الغرفة دون أن يطرق الباب وفى أوقات غير متوقعة، وعندما نجح سمير الإسكندراني فى الاختبارات المتوالية جاءه صوت سليم عبر أسلاك التليفون: سمير اسمعنى ارتدى أحسن ما لديك وقابلنى بعد عشرة دقائق فى محطة السكك الحديدية بروما.. وأضاف: الموعد مهم جداً! ثم مزيد من الإثارة: اذهب إلى الميدان الأسباني وأمسك

نسخة من مجلة "التايم" .. ادخل القهوة اليونانية .. لوح بالمجلة
فى يدك .. عند ذلك سيتفقك رجلنا الكبير !!!
وبدأت رحلة الغموض والمجهول !!

وتفاصيل كثيرة يتكتمها حتى الآن سمير الإسكندرانى
رغم مرور هذه الأعوام الطويلة حتى تحقق المفاجأة عند
تحويلها إلى فيلم تليفزيونى ينتظر البدء فى تنفيذه منذ عام
!!١٩٨٤!!

المهم أن العملية دارت فى إطار من الإثارة
والغموض وعالم الجاسوسية المشحون بالقلق والتوتر وألعاب
الدهاء المتبادلة، لنعرف أن العملية كان من بين أهدافها دس
السم فى طعام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، واغتيال
المشير عبد الحكيم عامر، وعن طريق مساييرة سمير
الإسكندرانى لهذه الشبكة ثم الكشف عن جاسوس تم تجنيده
فى القاهرة هو "إبراهيم رشيد" كان مهمته هى رصد تحركات
المشير عامر أولاً بأول وإرسالها برسائل الحبر السرى إلى
الموساد كانت تصل مباشرة إلى الكولونيل "هار كافي" مدير
المخابرات الإسرائيلية وقتها، كما كشفت التحقيقات بعد أ،
أوقع سمير بأفراد الشبكة واحداً بعد الآخر عن تجنيد عامل

يونانى يعمل فى محلات جروبى بالقاهرة واسمه "جورج ايستاماتيو" لتنفيذ عملية دس السم البطئ فى طعام الرئيس عبد الناصر ليقتله خلال ستة أشهر، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مساعى خسيصة للقيام بعمليات تخريب داخل قاعدة الغواصات المصرية ومحطات الرادار عن طريق جاسوس قبض عليه بعد كشف الشبكة واسم الجاسوس هو "رشاد رزق"، كما اكتشفت المخابرات العامة أن هذه الشبكة كانت تسعى لاغتيال طيارتين مصريين عن طريق جاسوس اسمه "محمد سامى نافع".

كما كشفت المعلومات عن وجود خطة لنشر الشائعات التى تحبط همم المصريين وتزعزع ثقتهم بقيادتهم، وكان يشرف على تنفيذ هذه الخطط المسمومة فى مصر مدير المخابرات الإسرائيلية "هار كافي" بنفسه بالإضافة إلى مكاتب الموساد فى روما وباريس وأثينا وامستردام وموينخ وزيورخ، وإنهم أنفقوا على ذلك ما يعادل مليون جنيه من ملايين ذلك الزمان.

وبعد أن نجح سمير الإسكندراني ورفيقه مهندس البواخر المصرى عز الدين نعيمو فى كشف هذه المؤامرة

الخبسية بخطة من أنجح ما يكون من جانب المخابرات العامة في مصر، استقال مدير المخابرات الإسرائيلية بعد أن وجد البطولة المصرية، والفضيحة الإسرائيلية منشورة في صحف إيريل من عام ١٩٦٠ في الصحف المصرية متصدرة الصفحات الأولى والأنباء الأولى..

ويبدو أن إسرائيل لم تنس بطولة هذا المطرب النجم المصري سمير الإسكندراني، ويا للغرابة أن تعود بعد أكثر من ٢٦ عاماً وفي صيف ١٩٩٦ لتتشر الصحف الإسرائيلية خبراً تتناقله مع الأسف واحدة من الصحف المصرية، وفي الخبر تقول السطور أن سمير الإسكندراني قد سافر وغنى أمام حائط المبكى (!) بل إنه مؤسس لجمعية صداقة مصرية إسرائيلية، وبالطبع فإن سمير نفى بشدة هذه الأخبار الكاذبة قائلاً بالحرف: "أنا بطل قومي وهناك مؤامرة لإجهاض بطولتي يشارك فيها الموساد الإسرائيلي..." (جريدة الأحرار ١٩٩٦/٩/٩).

ويا عم سمير لك أن تهناً ببطولتك، فأنت نجم على مسرح الغناء، ونجم على مسرح العمل الوطني.

* * *

١٢

مريم فخر الدين

هل هزمت صلاح نصر؟!

فامسكت بالتليفون وطلبت طليقها محمود
ذو الفقار لتستنجد به، وبشهادة ورجولة نقل
محمود الأمر إلى شقيقه المخرج والضابط
السابق عز الدين ذو الفقار، الذي استطاع أن
يضح الأمر أمام الرئيس الراحل جمال عبد
الناصر شخصياً، ليختفى صلاح نصر من
طريق مريم فخر الدين.. ولكن كان الاختفاء
مجرد هدنة وانتظار لأول فرصة تلوح في الأفق
من جديد^٧.

لعل أهم ما فى قصة الفنانة مريم فخر الدين مع صلاح نصر مؤسس ومدير جهاز المخابرات فى فترة شهدت كثير من التجاوزات، كما شهدت - والحق يقال - كثير من الإنجازات والانتصارات فى مباريات ساخنة مع جهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) حيث تم التصدى لكثير من الضربات التى كانت تسعى إسرائيل لتوجيهها إلى الشعب المصرى، وكلها مع الأسف ضربات تحت الحزام.

لعل أهم ما فى هذه القصة أنها تأتينا من مصدرها الأصلي، فى شبه ذكريات تفصيلية من الفنانة مريم فخر الدين التى كانت طرفاً فى مغامرة عجيبة من نوعها، لو صحت روايتها لكانت بذلك أكبر شاهد على نوعية التفكير التى أنت تسيطر على رجل المخابرات الأول صلاح نصر على الأقل فيما يتعلق بالعلاقة مع بعض الفنانات المشهورات. والقارئ سيندهش عظيم الإندهاش لهذا الأسلوب الذى كانت به عملية المطاردة، وكذلك الفترة الزمنية التى استغرقتها، وكأن مصر فى ذلك الوقت لم يكن بها من

القضايا ولا الأحداث ما يستحق أن يشغل فكر . أو يستخوذ على جهد هذا الرجل المهم، لدرجة أن مريم فخر الدين تذكر ضمن ما تذكر أن صلاح نصر دعا نفسه - أى فرض نفسه - على كأس من الويسكى فى بينها وبحضور زوجها الثانى فى أحد الأيام، ثم ما لبسي أن كانت الدعوة - على الأصح فرض الدعوة - تتكرر يوماً بعد يوم، ثم أصبحت بعد فترة قليلة كل ليلة!

تصوروا.. الرجل الأول فى مخابرات مصر يسهر ليشرّب، أو يشرب ليسهر فى بيت فنانة كل ليلة!

هذه هى إحدى الملاحظات فى هذه القصة، أما الملاحظة الثانية ولعلها تفرض نفسها على القارئ، فهى أن صلاح نصر فى مطاردته لهذه الفنانة التى استمرت لسنوات استغل فيها كل إمكانيات المخابرات من مندوبين وتنصت وتسجيلات وخلافه، لم نجده يطلب من الفنانة مريم فخر الدين القيام بعمل بطولى واحد يحقق أو يساعد على تحقيق السيادة الأمنية لمصر ولشعبها!

بل أننا نلاحظ أن كل ما يقوله صلاح نصر للفنانة الجميلة التى كانت تلهب مشاعر الشباب والمراهقين فى تلك

الفترة، بضعة كلمات حب وغرام - حسب روايتها هي - أو مجرد ملامسة يدها خلسة أثناء انشغال زوجها فى المطبخ(١)!

هل كانت هذه الأحداث وما صاحبها من مغامرات مجرد مقدمة طويلة - وسخيفة لتجديد هذه الفنانة العنيدة؟ أم هي مجرد قصة إعجاب عادية بين رجل وامرأة، وتصادف أن يكون الرجل هو صلاح نصر الرجل الأخطر فى مصر فى ذلك الوقت، والمرأة هي الفنانة مريم فخر الدين النجمة ذائعة الصيت الشقراء التى غنى لها العندليب الرائع عبد الحليم حافظ لعينيها: "شفتم عينيهِ حلوين قد إيه" ولشعرها: "والشعر الحرير.. على الخدود يهفهف ويرجع يطير". وبالتالي صادفت القصة هوى كل من سمع بها، وربما زاد عليها من خياله، لينشارك الخيال الجمعى فى صنع الأسطورة!

ولكن فى هذه المرة قطعت مريم فخر الدين الطريق أمام السائرين بها إلى عالم الأساطير، وقررت أن تحكى، ونحن مضطرون لأن نأخذ الكثير من روايتها، لأننا لا نملك مصادر أخرى، وحتى إن وجدت المصادر الأخرى - وهي

موجودة بالفعل بشكل أو بآخر -- فإنها - لأسباب كثيرة - لا ترقى لأن نصدقها أو أن نرجح كفتها.. والآن إلى القصة الكاملة للمطاردة المثيرة بين صلاح نصر ومريم فخر الدين.. فقد بدأت الحكاية بعد طلاق الفنانة مريم فخر الدين من زوجها الأول المخرج محمود ذو الفقار - والد ابنتهما إيمان - بأقل من أسبوع واحد، وكانت الخلافات مشتتة بين النجمة وزوجها السابق بسبب ما قيل عن استيلائه على كل الأموال التي كانت تحصل عليها كأجور عن بطولة أفلامها، وقد قالت الفنانة مريم فخر الدين أكثر من مرة وفي حوارات صحفية متفرقة أن زوجها المخرج الراحل محمود ذو الفقار كان يتعاقد نيابة عنها على أفلامها ويحصل هو على أجرها نيابة عنها ثم يعطيها بضعة قروش كل يوم من أيام التصوير كمصروف لشراء ساندويتش وزجاجة من المياه الغازية!

وقد روت إنها انتهزت فرصة زيادة أجرها إلى الضعف تقريباً مرة واحدة بعد أن لمع اسمها وأصبحت من نجومات الشباك، فكانت تعطى لزوجها ذو الفقار الأجر القديم الذي يعرفه، في حين تحتفظ بباقي المبلغ في مكان سري في الشقة حتى سافر الزوج لبضعة أيام، فأخرجت المبالغ التي

ادخرتها فكانت مبلغاً كبيراً اشترت منه شقة في نفس العمارة التي تسكن فيها مع زوجها وقامت بتأثيثها، ثم انتقلت للإقامة بها هي وابنتها وعندما عاد الزوج وسأل عن زوجته أخبره البواب وحدثت مواجهة عنيفة أصرت على إثرها الفنانة مريم فخر الدين على الطلاق وقد كان...

وعندما وقع الطلاق كانت مريم فخر الدين تعيش من راتب شهري كانت تعطيه لها شركة الشرق للإنتاج السينمائي لصاحبها "جان خوري" نظير احتكار جهودها فيما لا يزيد عن أربعة أفلام في العام، وعندما ذهبت تقبض راتبها. فوجئت بالكاتبة "س. ق" وهي تلطم وتولول قائلة لمريم: كارثة.. لقد رشحتك لبطولة رابعة العدوية بينما باع المخرج عباس كامل القصة لممثلة لبنانية..

فقالت مريم فخر الدين بلا مبالاة: معلش.. خيرها في غيرها.

ولكن الكاتبة كانت تريد شيئاً محدداً فقد قالت لها: أنت وحدك تستطيعين أن تخلصيني من هذه الورطة.. ممكن تكلمي أي مسئول كبير يحل المشكلة! ولكن مريم أكدت لها أنها ليست على صلة مع أحد من الكبراء. فعادت الكاتبة

لنقول وتلح فى أنها ستمر عليها فى اليوم التالى ليذهبها معا إلى أحد الوزراء، وأمام إلحاحها وافقت مريم، وفى اليوم التالى أشارت لها السيادة على سيارة مرسيدس قاتلة: هذه السيارة فيها الوزير!

ولكن مريم أصرت على أن يكون اللقاء فى سيارتها هى، وبالفعل جاء الرجل ليركب سيارة مريم، التى بادرت به بقولها: حضرتك وزير الثقافة.. إحنا عندنا طلب من سيادتك...

وضحك الرجل لأنه ببساطة ليس وزير الثقافة التى - يا للدهشة - لا تعرفه فنانة بحجم مريم فخر الدين، فلم يكن الرجل سوى صلاح نصر! واعتقدت فى البداية أنه يمزح إلى أن أثبت لها عن طريق بطاقته الشخصية وكاد يغمى عليها من هول المفاجأة التى أزعتها وأخافتها! واختلقت مريم الحجج لتتخلص من هذه المقابلة الثقيلة، فقد ادعت أنها على موعد للتصوير أمام فريد الأطرش، ولكن صلاح نصر حسب هذه الرواية لم يتركها إلا بعد أن صرح لها بإعجابه إلى درجة - الجنون - وأضاف أنه لم يستطع الاقتراب منها خلال السنوات الماضية بسبب أنها كانت

زوجة وأن زوجها كان صديقاً له - لصالح نصر - وأمام سؤال شديد الأهمية وإجابة لا تقل أهمية عن السؤال، سألته: ولماذا دبرت اللقاء بهذا الشكل؟

قال رجل المخابرات الأول: لأنى أحب المغامرات!! وتركها وانصرف، بينما هى كانت مشغولة بالتفكير فى كيفية التخلص من هذا الرجل؟! ومما يوضح خطورة الموقف أنها عندما عادت إلى منزلها وروت ما حدث لشقيقتها الفنان يوسف فخر الدين قال جملة واحدة هى: لا حول ولا قوة إلا بالله.. وبعدها مباشرة جمع ملابسه وغادر المنزل فوراً!

إلى هذا الحد كان هذا الرجل مخيفاً.. إلى هذه الدرجة لم يكن أحد ليستطيع أن يقول له (لا)!! فلنقرأ ماذا ستسفر عنه تلك المطاردة المثيرة..

وعندما حكّت مريم لوالدتها "الخولاجية" ما حدث. قالت لها الأم ما تخافيش يا مريم إن أكبر رجل لا يقوى على أضعف ست!! ولعل هذا ما بعث الطمأنينة - نسبياً - لدى مريم فخر الدين التى قالت لنفسها إن هذا الرجل رغم منصبه

الحساس لا يستطيع أن يأخذ منى إلا ما أريد أنا أن أمنحه، وهو لا يستطيع أن يلمسنى إلا بالحلال.. بالزواج الشرعى.

والحقيقة أن ثمة سؤالاً يطرح نفسه وهو لماذا ذهب تفكير السيدة مريم فخر الدين تجاه هذه النقطة تحديداً، أى تجاه "الرغبة" ولماذا حصرت مطالب صلاح نصر منها فى شئ وحيد هو: المتعة الجسدية؟! هل هى "السمعة" التى كانت سائدة فى ذلك الوقت عن الرجل ظلماً أو عدلاً؟! لماذا لم يدر فى خلدنا مثلاً أن صلاح نصر يريدنا لمهمة مخابراتية يرى أنها جديرة بها وقادرة عليها..

من الواضح أن هذه النقطة تحديداً لم ترد على بالها على الإطلاق رغم أنها الأقرب للمنطق!!

ولكنها فى هذه اللحظة لم تتمكن من أن تطرد الخوف الذى امتلأ به قلبها، فأمسكت بالتليفون وطلبت طليقها محمود ذو الفقار لتستجد به، وبشهادة ورجولة نقل محمود ذو الفقار الشكوى إلى شقيقه المخرج والضابط السابق عز الدين ذو الفقار الذى استطاع أن يضع الأمر أمام الزعيم الراحل جمال عبد الناصر شخصياً فى صباح اليوم التالى، وفعلاً جاءت النتيجة إيجابية للغاية، ليختفى صلاح نصر من طريق مريم

فخر الدين.. ولكن.. كان الاختقاء مجرد هدنة وانتظار لأول فرصة تلوح في الأفق من جديد! ورغم هذا فإن مريم فخر الدين لم تطمئن تماماً، بل فرضت على نفسها عزلة وسجناً اختيارياً داخل شقتها مع وحيدتها، وفي مونولوج داخلي تمتت مريم لو كانت قد داعبت هذا الرجل واستجابت له حتى تتخلص من الكابوس الذي يجثم على صدرها (حسب ما جاء في حوارها مع مجلة الموعد اللبنانية وجريدة الأحرار ومجلة كل شيء)، بل إنها اردفت كلمات غاية في الأهمية تكشف عن الصراع الداخلي الذي يسيطر على تفكير بعض من مرون بهذه التجربة الصعبة، فقد قالت بالحرف:

"هذا الرجل يمكن أن يمنحني كل شيء.. المال والجاه، والعمل السينمائي يقدمه لي على طبق من ذهب.. وصداقته تفتح أمامي الأبواب في كل مكان!" وهذا هو الوتر الذي يضرب عليه رجل المخابرات، والذي يكون هو "النعمة" المحببة التي تطرب آذان من في نفسها ضعف من الفنانة! وتستمر مريم فخر الدين في مونولوجها الداخلي الذي يكشف الكثير عندما تقول: "هناك العديد من زميلاتك - زميلات مريم - فعلن أكثر من ذلك، واحدة منهن على علاقة بضابط

فى مكتب المشير وفتحت لها الأبواب، وأخرى لجأت إلى سلاح الإغراء فأصبح أحد الضباط تحت أمرها وبدأت ترشح لكل الأعمال الفنية وأنت الآن بدون عمل، ووجود ظهر قوى لك قد يحميك ويجعلك نجمة عالمية أيضاً..". (جريدة الأحرار ١٢/١٢/١٩٨٨) هل معنى هذا أن مريم فخر الدين كانت على وشك أن تضعف؟ هل كانت مؤهلة لذلك أم أنها لم تقو على الضغوط النفسية الرهيبة التى تتعرض لها؟ ولكن حسب روايتها فإنها طردت هذه الأفكار بسرعة وقررت المواجهة بشجاعة. فهل تستطيع مقاومة رئيس المخابرات العامة فى وقت كان لا أحد يجرو فيه على مجرد ذكر اسمه؟

ولكن الذى حدث أن مريم قد اندفعت فى هذا الوقت فى طريق آخر، عندما تعرفت على طبيب الأنف والأذن والحنجرة الدكتور عبد الحميد الطويل نجل واحد من باشوات مصر قبل الثورة وهو عبد الحميد الطويل، ونشأت بينهما قصة حب سريعة، سرعان ما طلبها الدكتور للزواج فوافقت، ووجدت فيه حماية لها ولابنتها، ووافقت على طلبه باعتزال التمثيل لتكون سيدة منزل ومربية لابنتها، بل وسافرت معه إلى لندن وألمانيا ليحصل هو من هناك على الدكتوراة

ولتحصل هى على مزيد من الأمن والاستقرار ولتجنب منه
ابنها محمد الطويل فهل كانت هذه الأعوام والأحداث كافية
ليسدل الستار عن قصتها مع الرجل الخطير صلاح نصر؟
ومن باب الاحتياط قررت مريم فخر الدين أن تأخذ
حذرهما عندما حان موعد العودة إلى القاهرة، فقد قررت ألا
تخرج من منزلها إلا للضرورة القصوى، ورغم ذلك جاءها
ما توقعته تماماً عبر أسلاك التليفون، فقد جاءها صوت أحش
يقول بلهجة فيها من التحدى والصلف: ألو.. أنا صديقك
القديم صلاح نصر..

قالت مريم بصوت متهدج، خائف: أهلاً يا صلاح
بيه..

فدخل فى الموضوع مباشرة: لماذا شكوتينى للقيادة
السياسية (يقصد عبد الناصر) وحاولت الدفاع عن نفسك،
ولكنه قصر المسافة معبراً عن حبه لها وولعه بها، إنه لن
يتعرض لها الآن مادامت زوجة..

كلام جميل ولكن الأيام التالية كانت تحمل مزيد من
المفاجآت..

ولأن مريم قررت أن تأخذ حذرهما، فقد رأت أن تخبر زوجها بتفاصيل حكايتها مع صلاح نصر تحسباً لأية مفاجآت، ولكن يبدو أن صلاح نصر كان يتحين الفرصة - بل يسعى لخلقها خلقاً - من أجل اللقاء مع مريم، وبالفعل في أحد زيارتها بصحبة زوجها تلبية لأحد الدعوات، فوجئت بصلاح نصر بين المدعويين والحقيقة أنها لم تتدهش كثيراً، ولم تأخذها المفاجأة، فقد عرفت عن الرجل ميله إلى أساليب المخابرات من صناعة الفرصة بشكل يدهشك، ونجح صلاح نصر في أن يصطنع مناسبة للحديث والتعارف مع زوجها الطبيب، بل ووعده بتسهيل إجراءات استيراد بعض الأجهزة الطبية التي كان يجد صعوبة في استيرادها في ذلك الوقت، ومن هنا نشأت علاقة منفعة ومصالح متبادلة، الدكتور يريد بعض الامتيازات المتعلقة بعمله، وصلاح نصر يريد فرصة للتقرب من صيده تحقيقاً لرغبة لم يفصح عن تفاصيلها حتى الآن. وزاد من خطورة الأمر ما تقررته مريم فخر الدين في روايتها من أجل رجل المخابرات الأخطر قد اشتم رائحة خوف، بل وذعر من جانب زوجها سليل الباشوات ووزراء العهد البائد في وقت كانت تشتد الحملة عليهم باعتبارهم

رمزاً للرجعية، وحيث كان الخوف من تأمرهم على الثورة والعهد الجديد، ومن ثم كان يسهل جداً على صلاح نصر أن يلفق تهمة العداء للنظام والتآمر عليه ومن ثم أن يحجز له مكاناً وراء.. الشمس!! وأمام هذا الخوف كان غريباً - ولكنه يتسق مع منطق الرعب والذعر - أن يوافق الزوج - زوج مريم فخر الدين - على دعوة صلاح نصر لنفسه على كاس ويسكى (!) فى منزل الزوجية، بل وأن يطالب من زوجته الفئانة أن تهتم بتحضير المزات!!

وللتعبير عن كرمه - أرسل صلاح نصر من ناحيته - قبل وصوله - صندوقين من أفخر وأفخم أنواع الويسكى والشامبانيا والفودكا والكونياك، وهى أنواع لم تكن متوافرة بسهولة وقتها فى السوق المصرى لندرة استيرادها، ولكنه النفوذ!

والمثير أن الفئانة مريم فخر الدين تذكر أن صلاح نصر كان خلال هذه "القعدة" ينتهز فرصة دخول زوجها الدكتور الطويل إلى المطبخ، حتى تمتد يده لتلامس يدها، وكانت تتخلص منه بسرعة بأن ترفع يدها تجاه وجهها! وبعد

انتهاء المقابلة روت مريم لزوجها ما وقع من صلاح نصر،
فثار الزوج وصرخ، ولكنه كان عاجزاً عن مواجهة الأمر.
وبعد ذلك اكتشفت مريم أنها وزوجها مراقبين وكذلك
تليفونها وتليفون عيادة الدكتور الطويل، ثم جاءها صوت
صلاح نصر عبر الهاتف قائلاً بدون مقدمات: أنا عايز أقابلك
على انفراد!

فقالت مستجمة كل شجاعتها: شوف يا صلاح بيه..
لا أنت ولا رئيس أمريكا ولا أى مخلوق يقدر يجبرنى على
حاجة أنا مش عايزة أعملها، والمقابلة التى تحلم بها لن تتم
أبداً.

ولكن ذلك لم يكن كافياً لابتعاد رجل المخابرات
الأخطر عن طريق هذه الفنانة بل أصبح "يعزم" نفسه (كل
يوم) على كاس ويسكى فى بيتها وبحضور زوجها!! بل إنه
سعى لتوطيد العلاقة أكثر مع مريم وزوجها، لتأخذ شكل
العلاقات الأسرية، فقد كان يدعوها أحياناً وزوجها لزيارة
أسرته، وأنها لاحظت أنه يعيش فى مستوى اجتماعى عادى
ليس فيه بذخ، لدرجة أنهم كانوا يتناولون العشاء أرضاً وعلى
قطعة من "المشمع"!

وفى الحقيقة أنا شخصياً لا أفهم كيف تحمل العلاقة بين صلاح نصر والفنانة مريم فخر الدين وزوجها شكل المطاردة ثم تكون هناك هذه العلاقة الحميمة بينهم لدرجة تلبية كل طرف لدعوات الطرف الآخر لتصبح دعوات "يومية" حسب رواية السيدة مريم فخر الدين، ولدرجة قبولها الدعوة لزيارة منزل وأسرة صلاح نصر بهذا القدر من الأمان.. هذه ملاحظة رأيت أن أرصدها وأسجلها ليفكر القارئ معي.

ولكن يبدو أن هذه كانت مجرد هدنة بين الطرفين، فقد تبعها محاولة "مخابراتية" عندما أرسل لها صلاح نصر مجموعة من شرائط الكاسيت مسجلاً عليها مكالمات غرامية بين زوجها الدكتور الطويل وبين واحدة يبدو من صوتها أنها امرأة لعوب!

وبخبرة فنانة تعمل بالسينما، اكتشفت وجود عمليات مونتاج وتلاعب فى هذه التسجيلات، لذلك فإنها لم تصدقها. ويبدو أن صبر صلاح نصر قد نفذ عند هذا الحد فانفجر قائلاً عبر مكالمة هاتفية معها:
- جوزك ده أنا ممكن أفقصه برجلى!

وردت بقوة حتى لا يشتم رائحة الخوف تسيطر عليها، فقالت له: لو فعلت ذلك فإن هذا هو قسمتى وقسمته!

ولاحظ زوج مريم الدكتور الطويل أن هناك عدد من النساء الجميلات واللعب أصبحن يترددن على عيادته بكثرة، وأنهن لا يتورعن عن مغازلته! وطبعاً اللعبة كانت مكشوفة، فالمقصود هو إثبات خيانة الزوج حتى تكون مبرراً لهجر الزوجة له، ولكن مع فشل هذه المحاولات كان لابد من أسلوب التهديد المباشر فيها هو يقول: أنا وراك والزمن طويل! ولكن المثير أنه رغم سخونة المطاردة فإن صلاح نصر كان لا يزال يدعو نفسه على كاس الويسكى فى منزل مريم وزوجها، وكأن شيئاً غير عادى لا يحدث! إلى أن قرر صلاح نصر القيام بعملية "بسيطة" ولكنها محكمة لجذب مريم فخر الدين إلى شباكه، وليفهمها رسالة مفادها أنه إذا كان هو صاحب العمليات الكبيرة فى دنيا المخابرات، فإنه لن تعص عليه هذه الفئانة مهما كانت صلابتها ومهما كان عنادها..

بدأت "العمليات" عندما تم استدعاء الزوج الدكتور الطويل من إجازة صيف كان يقضيها الزوجين فى الإسكندرية، فى مهمة عمل عاجلة فى القاهرة، ليترك مريم

فخر الدين وحدها فى الفندق بالإسكندرية، وفى صباح اليوم التالى كانت مريم تتريض على شاطئ البحر عندما قابلتها صديقة من أيام الدراسة - طبعاً سنفهم بعد قليل أن المقابلة لم تكن صدفة - وأصرت على دعوتها فى المساء لتناول العشاء والدرشة فى منزل الصديقة بسموحة، وأمام إصرار الصديقة وافقت مريم بعد أن أخبرت زوجها هاتفياً ورحب بذلك، وفى الموعد المحدد كان هناك سائق أمام الفندق يقول أنه جاء من عند مدام "زيزى" - صديقتها - لتوصيلها إلى هناك، وما هى إلا دقائق حتى وجدت نفسها أمام فيلا فى منطقة هادئة، لتدخلها بعد ذلك لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام صلاح نصر الذى ضحك ضحكة المنتصر قائلاً:

- هل علمتى الآن أننى أستطيع أن أحصل عليك فى الوقت الذى أريده! ولاحظت مريم فخر الدين أن صلاح نصر يحيط به خمسة رجال أشداء جداً ذوات تكوين جسمانى مخيف.

وكما تقول فى روايتها: حاولت أن تعمل ذكائها، وخشيت أول ما خشيت أن يأمر صلاح نصر رجاله باغتصابها أمامه، كنوع من الانتقام منها، وكانت فى ذلك

الوقت حامل في شهرها الثالث، ولو حدث ذلك فإن مصيرها سيكون هو الموت المؤكد - حسب روايتها - والحقيقة أننا نعتقد أن الموت لا يأتي في هذا التوقيت بسبب الحمل والتعذيب البدني، بل إنه يأتي بسبب الخوف على الرشف والحياء الشديد من فقدانه بهذه الطريقة المهينة.

وهنا تقول مريم فخر الدين أنها حاولت بذكاء الأنثى أن تتخلص من هؤلاء الرجال الخمسة أولاً، فتكلمت بطريقة ناعمة مع صلاح نصر وطلبت منه انصراف هؤلاء الرجال ومنته بسهرة رائعة، وبالفعل أمر صلاح نصر رجاله بالانصراف، وهنا واصلت مريم فخر الدين لعبتها وطلبت منه أن تشرب "شامبانيا" بعد أن لاحظت عدم وجودها على مائدته، وفي أثناء ذهابه إلى المطبخ، قفزت من نافذة الفيلا - الدور الأرضي - وتعمدت أن تطلب النجدة بصوت عالي لكي تسبب الحرج لصلاح نصر ورجاله حتى أمر صلاح نصر بتوصيلها إلى الفندق الذي تقيم فيه بعد أن أصيبت بكسر في قدمها وإجهاض فقدت بسببه جنينها.

ورأت مريم فخر الدين أن تبادر هي بتخويف صلاح نصر، ومع أول مكالمة هاتفية منه أخبرته أنها مازالت في

حوزتها شرائط الكاسيت التي قامت أجهزة صلاح نصر بتسجيلها لزوجها في عيادته وفي بيته، وفي هذا دليل دافع على انحراف جهاز المخابرات عن وظيفته ومهامه الأساسية، وأنها ستعمل على تقديم هذه الشرائط إلى الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً. ويبدو أن اللعبة حققت نتائجها، فأرسل صلاح نصر رجاله يفتشون داخل شقتها فلم يعثروا على شيء، فقالت له في مكالمة تالية: إنها أرسلت هذه الشرائط إلى خارج مصر وإيهم سيقدمونها إلى الصحف هناك إذا ما حدث لها مكروهاً أو أخبرتهم هي بذلك.

وجاءها الصوت المهزوم: ماذا تريدين؟

- قالت: أريد السفر فوراً إلى بيروت ومعى ابني والمربية الخاصة بي وأريد أذونات سفر لنا جميعاً، وأن أصطحب معى مصوغاتى.

- قال دون تفكير: مافيش مانع.. بكرة عندك كل شيء. ونفذ صلاح نصر ما وعد به، لتسافر مريم وابنها حمادة ومربيته إلى بيروت لتعيش هناك ولا تعود إلى فيها، حتى استمعت إلى هذا الخبر الذى نزل عليها كالصاعقة من

إذاعة القاهرة التي كانت حريصة على سماعها في بيروت،
وكان الخبر عقب نكسة ١٩٦٧ يقول:

"تم اعتقال رئيس المخابرات المصرية صلاح نصر
وأحيل إلى محكمة الثورة بعد أن انحرف بجهاز المخابرات
عن مهامه الأصلية".

وهنا فقط تأكدت مريم فخر الدين أن قصتها مع
صلاح نصر قد انتهت للأبد.

* * *

١٤

السينما و.. الثورة

أفلام "مع"

أفلام "ضد"

"وعندما علم جمال عبد الناصر بتفاصيل الفيلم، وأن كمال يس سيقوم بنفس الدور الذي لعبه ناصر، حرص على الالتقاء به عدة مرات، وناقش معه كثير من التفاصيل كي يخرج الدور والفيلم في شكل يوضح بعض ما كان يجري في كواليس الثورة المصرية."

نصف قرن من عمر الثورة المصرية. نصف قرن.. لو كانت السينما تصور خلالها ثلاثة مشاهد فقط كل عام لأصبح عندنا فيلماً عالمياً يؤرخ لثورة يوليو ٥٢ التى كانت بداية لنزاعات التحرر فى المنطقة العربية والقارة الإفريقية، بل إن كثير من حركات التحرر فى أماكن بعيدة من العالم قد استمدت عافيتها و"همتها" من الثورة المصرية!

صحيح أننا وجدنا "أثراً" لثورة يوليو فى أفلام مصرية عديدة، وقد يكون هذا الأثر ممثلاً فى "كشط" صورة الملك السابق فاروق كما فى فيلم "غزل البنات" أو يكون على هيئة وضع صورة فى مكان بارز لرمز الثورة المصرية وثانى رؤسائها (جمال عبد الناصر).. وقد يكون جملة محشورة حشراً فى فيلم اجتماعى كأن تقول بطلة الفيلم وهى تشكو من المستبد "إحنا دلوقتى فى عهد جديد.. عهد الثورة" أو شيئاً من هذا القبيل..

ولكن ليس هذا ما يخلد الثورة، وليس هو ما كانت تطمح إليه (السلطة) من الفن السابع..

وما بين هذا وذاك كانت هناك (علاقة) قائمة،
وخيوط ممدودة بين الشد والجذب بين الفنان وسلطة الثورة
المصرية.. ومن الطريف أن نجد فيلماً اجتماعياً مثل فيلم
"الفتوة" وهو أحد روائع المخرج الراحل صلاح أبو سيف،
يتناول بين ما يتناول جانباً من فساد عهد الملكية، وليس هذا
بمستغرب فالحياة الاجتماعية هي جانب من نسيج السياسة،
ومرآة تتعكس عليها فساد أو نزاهة الحكيم، وفي الفيلم شلة
المنقعين والمتاجرين بالألقاب، بل وبفاكهة الخاصة الملكية
(بطيخ مولانا)، وهو تيار وجد وانتعش في الفترة التالية
للثورة، لعله من الصدف أيضاً أن الشركة المنتجة لهذا الفيلم
كان اسمها "أفلام العهد الجديد" لصاحبها فريد شوقي،
وبالطبع يمكن أن نستنتج أن العهد الجديد هنا هو عهد
الثورة، حيث أن الشركة تكونت عام ١٩٥٣، بينما عرض
الفتوة ١٩٥٧/٤/٢٩. وجدير بالذكر أن الفيلم بطولة فريد
شوقي وتحية كاريوكا، زكى رستم وضيوف الشرف هدى
سلطان ومحمود المليجى.

مصطفى كامل:

وكانت الثورة هي بارقة الأمل لفيلم "مصطفى كامل" الذى جرى العمل به قبل الثورة، ولكن لأن العهد الملكى لم يكن يتحمس لتلك النوعية من الأفلام التى تثير الهمة الوطنية، أو تلك التى تتناول حياة رموز وطنية غير الملوك والحكام فلم يسمح بعرض الفيلم إلا بعد أن جاءت الثورة، وتم السماح بعرض الفيلم فى ١٤/١١/١٩٥٢ أى فى نفس عام ولادة الثورة المصرية.

وهو بالمناسبة الفيلم الوحيد لبطلة أنور أحمد، وشاركته البطولة ماجدة والفنانون حسين رياض، محمود المليجى وأمينه رزق عن قصة الأستاذ فتحى رضوان.

الله معنا:

ربما كان أول فيلم تناول الثورة كموضوع أساسى وبشكل مباشر هو فيلم "الله معنا" الذى كتب قصته إحسان عبد القدوس، والذى بدأ أحداثه من قصة الأسلحة الفاتدة (التي تضاربت الأقوال حولها فى الفترة الأخيرة) والتي كشف قصتها صحفياً إحسان من خلال مجلة روز اليوسف، وأضاف لها تشكيل الضباط الأحرار، وعرض الفيلم فى الشهور الأولى من عام ١٩٥٥، وقام ببطولته السيدة فائز

حمامة وعماد حمدي، محمود المليجي وشكري سرحان،
والإخراج لأحمد بدرخان.

رد قلبي:

ويعد فيلم "رد قلبي" من أكثر الأفلام السينمائية عذوبة
التي تناولت الثورة، ومن أجملها، ففيه "رقعة" الرومانسية،
و"عمق" العلاقات الاجتماعية، ومخاطر العمل الوطني في
أوقات الشدة، وسلسلة الأداء التمثيلي لنجومه وهخم باقي من
ألمع نجوم السينما المصرية من العملاق حسين رياض إلى
النجوم شكري سرحان، مريم فخر الدين، صلاح ذو الفقار
والفارس أحمد مظهر وكمال ياسين، ولأخير قصة سنحكيها
بعد سطور قليلة تتعلق بدوره في الفيلم.

والقصة والحوار كتبهما بعمق وعذوبة مدهشين
الأديب يوسف السباعي، والقصة باختصار هي قصة رجل
من الطبقة الدنيا استطاع أن يقطع من قوت يومه ليحقق
حلمه في ولديه، وهو ما نجح فيه، ونأتى للخط الرومانسي
في الفيلم وهو الممثل في شخصية "علي" شكري سرحان
الذي خفق قلبه وهو ابن خادم القصر (الجنائني) لابنة الباشا
"وما أدراك ما الباشا في سالف الدهر والزمان" وعندما

يكتشف ابن الباشا العلاقة بين أخته وابن الجنائنى يقوم بطرد الجنائنى ليس ابنه فقط، ويهدد ويتوعد فتتظاهر الجميلة إنجى بقبول الأمر الواقع، ولكنها تظل على العهد، ويتدخل شقيق على بإنهاء العلاقة بينهما عن طريق الخديعة رحمة بشقيقه من حب بلا أمل، ومع حريق القاهرة السابق للثورة، يكتشف "على" حب أكبر من الخديعة ويعرف أن حبيبته على العهد باقية، وفي نفس الوقت يعرف "على" حب أكبر من حبه لإنجى، حب الوطن والمبادئ من خلال كمال يس الذى يكشف له عن أنه أحد قيادات تشكيل الضباط الأحرار، وينضم إليهم "على" وتتجر الثورة، ويكلف بتنفيذ أحد أهداف الثورة فيرأس لجنة مصادرة أملاك كبار الإقطاعيين، ويذهب إلى قصر إنجى التى تتوهم أنه جاء للتشفى فيها، ولكنها سرعان ما تكشف عن تعاطفها مع مبادئ الثورة، وتقوز بقلب حبيبها ونفوز نحن المشاهدين بواحد من أرق الأفلام الوطنية.

وعندما علم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بتفاصيل الفيلم، وأن كمال يس سيقوم بنفس الدور الذى لعبه ناصر، حرص على الالتقاء به عدة مرات وناقش معه كثير

من التفاصيل كى يخرج الدور والفيلم فى شكل يوضح بعض ما كان يجرى فى كواليس الثورة المصرية.

وفى نفس العام (١٩٥٧) يقال أن الرئيس جمال عبد الناصر قد استدعى المخرج عز الدين ذو الفقار والفنان فريد شوقى، وناقش معهما ضرورة إنتاج فيلم عن مدينة بورسعيد الباسلة وتصديها للعدوان، وقد كان ذلك فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر، وبالفعل تم إنتاج الفيلم وعرض فى شهر يوليو من نفس العام، وقام ببطولته فريد شوقى، لىلى فوزى، شكرى سرحان، زهرة العلا، أمينة رزق، حسين رياض، أحمد مظهر ورشدى أباظة وكما هو واضح من فريق العمل أنه قد اجتمع لها الفيلم أكبر حشد من نجوم الصف الأول.

شئ من الخوف:

عرض فيلم شئ من الخوف فى يوم ١٩٦٩/٢/٣ والفيلم من إخراج حسين كمال عن قصة الأديب ثروت أباظة وحوار صبرى عزت والبطولة للنجوم محمود مرسى، شادية ويحىى شاهين.

والفيلم عرض قبل وفاة عبد الناصر بما يقترب من العشرين شهراً، وبعد شئ من الخوف بنحو ثمانية شهور

وتحديداً في ١٣/١٠/١٩٦٩ عرض فيلم "ميرامار" للمخرج كمال الشيخ عن قصة نجيب محفوظ وسيناريو وحوار ممدوح الليثي، وبطولة يوسف شعبان، شادية، يوسف وهبي، عماد حمدي والوجه الجديد وقتها عبد الرحمن علي، ومن قبله عرض فيلم "الرص والكلاب" - قبل ذلك بسبع سنوات - وجميعها أفلام تدخل في بند "السياسة" وجميعها أيضاً أفلام تنتقد النظام لا تهادنه برغم كل ما قيل عن الطبيعة القاسية التي حكمت مرحلة ما بعد الثورة، إلا أن فيلماً من هذه الأفلام لم يُصدر، ولم يمنع عرضه، وقد يكون مفيداً هنا أن نحكي حكاية فيلم "شيء من الخوف" وهي القصة التي قيل أنها تنتقد عبد الناصر شخصياً لنوضح موقف السلطة (الرئيس) منها!

فالفيلم يتناول قصة عتريس، الطفل الذي نشأ ليجد جده قائماً على تربيته على القسوة، ويغرس فيه حب الانتقام، أو حتى الانتقام من الحب!

أو إن شئت كراهية الحب (!) وبالفعل يستطيع الجد بهذه التربية أن يغير من معالم شخصية الحفيد الذي يكبر

ليتولى تسيير أمور قريته، وينجح فى السيطرة عليها وعلى مقدرات أهلها بالكرباج، وبالحديد والنار يخضع له الجميع.

وفى مقابل عتريس نجد "فؤادة" الزهرة المتفتحة التى لا تعرف سوى الحب، والتى يجمعها علاقة حب متبادلة مع عتريس منذ مرحلة البراءة، ورغم ذلك فهى تقف ضده وتتحداه بعد أن لمست قسوته فى التعامل مع أهل قريتها، ولا يجد عتريس مفراً من الزواج منها رغماً عن إرادتها وإرادة والدها الذى لا يجد مفراً هو الآخر من تزوير شهادته ليعلن رضوخ فؤادة للزواج من عتريس. وعندما يشبع النبأ تبدأ الهمسات ثم ما تلبث أن تصبح صراخاً: "زواج عتريس من فؤادة باطل!" وصيحات وهتافات يتمنى معها عتريس لو أصابه الصمم حتى لا يسمعها بعد أن فشل فى قطع السنة كل الناس، وينتفض أحد المكلومين لقيادة أهل القرية الذين يحاصرون قصر عتريس ويصبون عليه نيران الغضب، لتحاصره بين جدران قصره.

قالوا: إن عتريس هو عبد الناصر، وأن فؤادة هى قلب مصر، وأن القرية هى كل مصر، وأن هناك تلميحاً لتغيب الدستور وتكميم الأفواه.

واحتدم الخلاف بين "مسامح" فى عرض الفيلم، وبين "رافض" لهذا العرض، ومُطالب بأن يكفى على الفيلم "ماجور"، وشاركوا بذلك فى صنع دعاية ضخمة للفيلم. ورأى البعض أن يرفع الأمر إلى الرئيس عبد الناصر، فأرسلوا له "بكرات" الفيلم، ليتم عرضه عليه ومعرفة هل سيلاحظ أن هناك وجه شبه بينه وبين عتريس أم أن الأمر لا يعدو أن يكون وهماً فى خيال الرقباء. وشاهد ناصر فيلم "شئ من الخوف" وعلى الفور اتصل بالسيد ثروت عكاشة قائلاً له: "يا ثروت مشى الفيلم.. الفيلم بيتكلم عن عصابة، طيب لو احنا عصابة كانت الجماهير خلصت منا من زمان" أو يبدو أن البعض "صعب عليه" أن يأتى القرار من عبد الناصر مؤيداً لعرض الفيلم فقالوا إنه ذكاء من عبد الناصر حتى لا يحقق شهرة لصناع الفيلم، أو حتى لا يتسرب إلى الخارج!

السادات شاهد على مرامار:

أما حكاية فيلم مرامار، فقد حدث أن كلف جمال عبد الناصر، السادات لمشاهدة الفيلم - وهو عن قصة الأديب الكبير نجيب محفوظ - بعد أن اشتد الهجوم على الفيلم

واعتبروه مهاجماً لتنظيم الاتحاد الاشتراكي "أحد تنظيمات ثورة يوليو" وباعتبار الفيلم ممثلاً للرجعية وأنه يسخر من الأوضاع، وبعد أن شاهد السادات الفيلم رفع تقريره إلى عبد الناصر بأن الفيلم ليس به ما يدعو لمنع عرضه!

أفلام ما بعد الرحيل:

وبعد رحيل عبد الناصر - تماماً كما في حالة رحيل أى عهد أو نظام - ظهرت أفلام عديدة تنتقد بعنف، بعضها مجاملة للحكومة الجديدة، وبعضها لأنها حصلت على حريتها الكاملة، والبعض الآخر حاول أن يقدم التاريخ و"التأريخ" لسلبيات مرحلة، ومن الأفلام التى انتقدت بعنف فيلم "الكرنك" الذى أخرجه على بدرخان عام ١٩٧٥ وتقاسم بطولته سعاد حسنى، كمال الشناوى، ونور الشريف ومحمد صبحى، وفيه تعرية لما سمى بمراكز القوى.

وبعدها انهمر سيل الكتابات المعادية للعهد الناصرى، ولكن قليلين من انتقدوا الثورة فى السينما، ربما لأننا مازلنا نعيش فى عصر الثورة.

محاكمة عبد الناصر:

ومن الأفلام التى ظهرت وتحتوى إسقاطات إدانة لفترة الحكم الناصرى، ذلك الفيلم الذى عاد به المخرج الكبير صلاح أبو سيف بعد غيبة طويلة عن العمل، وهو فيلم "البداية" الذى شارك فى كتابة الحوار له لينين الرملى عن قصة صلاح أبو سيف فى إطار كوميدي سياسى وفيه محاكمة بالتلميح لثورة يوليو ١٩٥٢، وكانت طريقة أبو سيف فى ذلك هى استخدام الإشارات والأسماء والرموز مروراً باستخدام موسيقى الأنشيد والأغاني الوطنية فى فترة الستينات مع تحوير لكلماتها.

والفيلم باختصار يدور حول طائفة تسقط فى الصحراء ليجد مجموعة من الركاب الناجون أنفسهم متأثرين على الرمال، هذه الشخصيات هى تقريباً ممثلة لفئات المجتمع، ففيها رجل الأعمال والفنان التشكيلي والراقصة والفلاح والطفل والصحفية والرياضى. وتلمع فى رأس نبيه بك فكرة السيطرة على واحة يعثرون عليها، بها الماء والثمار والجو الأمن، ويحاول نبيه الحصول على نور الزعيم، وهو ما ينجح فيه عن طريق لعبة الحظ، ويبدأ فى استغلال الجميع، الملاك لمحميه من أعداءه. أعداء الوطن فى

رأيه - والصحفية لتمجيد أعماله فى صحيفة الحائط التى تصدرها، والفلاح فى جنى الثمار "التمر" والباقي يعمل من أجل إنشاء مصنع للخمر من فائض التمر الذى يدخره على حساب اقتطاع جزء من حصة من لا يرضى عنه.

هذه هى اللعبة التى تدور حولها حدوتة "البداية" والتى تحمل تلميحات حول الحقبة الأولى من عمر الثورة المصرية من خلال مجموعة من الإشارات والرموز، وقيل أن صلاح أبو سيف ينتقد شيئاً محدداً من خلال الفيلم، وهو تأكيد الاتهام الموجه لعبد الناصر بأنه سمح لعناصر الثورة المضادة التى ظلت تترقب الفرصة للانقضاض وتحقيق مكاسيها الخاصة. والتى كانت - سواء وهى تدرى أو لا تدرى - توجه طعناتها إلى الثورة ومفجرها.

وهكذا كان للسينما دور فى تمجيد السلطة أو محاكمتها!!

١٥

فرانك سيناترا:

الفن والمافيا

”واكتشفت علاقته بالمافيا بعد ذلك عندما اختطفت ابنه ”فرانك“ من أحد الفنادق، ولم يفرج عنه إلا بعد ثلاثة أيام، وبعد أن دفع سيناترا فدية قدرها (٢٤٠) ألف دولار، واتضح أنها كانت وسيلة للانتقام من سيناترا بواسطة المافيا بعد أن ساءت العلاقة بينهما“

فرانك سيناترا ١٩١٥ - ١٩٩٨:

هذا النجم كان حالة خاصة فى تاريخ الفن، وقد كان لطول عمره الفنى وحيويته أثراً على عمق واتساع رفعة أعماله وإنتاجه، من ملايين الاسطوانات التى تركها فى حوزة عشاقه، و ٦٠ فيلماً سينمائياً، وجولات فنية شملت معظم أنحاء العالم، وحلقات خاصة بالتليفزيون، ومئات الملايين من الدولارات، صرف بعضها على الجمعيات الخيرية، وقليلون هم الفنانون الذين استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه سيناترا.

ونستطيع أن نقول: إن أسلوب سيناترا فى العمل كان فائقاً، وكان عطاؤه كنجم يؤكد أن موسيقاه وأغانيه سوف يظلان ذو صدى كبير طوال القرن العشرين، وربما ما تلاه من قرون ما بقيت فنون الصوت.

وقد كان، سيناترا فنانا وإنسانا قويا بغض النظر عن التناقضات الموجودة فى حياته، وكان متحمساً لفنه، مدركاً لطبيعة جمهوره، وعلى المستوى الإنسانى كان قوياً وسريع

الغضب إلى الدرجة التي ألقت بشكوك كثيرة من قبل الجمهور على سيناترا الإنسان.

ولد سيناترا في ١٢ ديسمبر من عام ١٩١٥، وهو إيطالي / أمريكي، كان أبوه ملاكماً - ولعل ذلك أورث الطفل سيناترا بعض صفات العنف والمقاتلة - وتحول الأب فيما بعد إلى رجل مطافى، أما الأم فقد كانت ساقية في أحد المطاعم وكانت تحب أن تغنى للأسرة عند اجتماعها، وكان الجيران معجبون بصوتها، ولقد تأثر سيناترا كثيراً بأمه في هذا الميل تجاه فن الغناء، وأكد عنده هذا الاتجاه تأثره خلال فترة المدرسة العليا بأحد مدرسيه، وردد سيناترا في شجاعة الأغاني الجماعية على جيرانه، ومظهر في أحد المسارح الأهلية الصغيرة كفنان هاو يغنى ويلقى النكات (!) ويمثل دور مدير مراسم وتشريفات، وهذا يكشف عن جرأة غير عادية يتمتع بها فرانك، وقد تم شطب اسمه بعد أدراجه بفصل دراسي واحد في معهد هوكين ستيفن، ولكنه كان قد تعرف على نانسي بارباتو، والتي أصبحت فيما بعد أولى زوجاته وأم لأطفاله الثلاثة.

وفى عام ١٩٣٩ حدثت أولى المفاجآت فى حياته، فقد استمع العازف "ترمبيتر" هارى جيمس على واحدة من أغانى سيناترا فى محطة الراديو بنيويورك واستأجره كمطرب لفرقة، وقد جال سيناترا مع جيمس حتى نهاية العام، حيث قابل عازفون آخرون بقيادة تومى دروسى، اتفق الاثنان فى الحال، وترك سيناترا فريقه واتجه إلى دروسى، وهو ما يعد أهم قرار أنجزه سيناترا، وقد لمس دروسى سيطرة سيناترا على نفسه، وعبقريّة موسيقاه التى لا تتضب، وطريقة أدائه مع النوتة الموسيقية.

ويقول الخبراء إن سيناترا كانت له حنجرة قوية تستطيع أن تتناغم مع ١٦ نغمة موسيقية دون أن تحصل على "شهيق" الأكثر من ذلك أن سيناترا كان يؤمن: بأن المغنى يجب عليه أن "يشخص" الأغنية، لا أن يلقيها كما هى.

وفى سبتمبر ١٩٤٢ قرر سيناترا أن يعمل منفرداً، وارتفع نجمه ولم يتوقع فى هوليوود - بعد أن أصبح نجماً سينمائياً - ولكنه تجول فى سلسلة من الحفلات الموسيقية،× كما قدم حفلات للراديو.

وقد أراد لنفسه فى مرحلة من مراحل حياته أن يكون هزلى مسل، ولكنه كان ذو صوت ساخر خيالى، له صوت صдах، عميق جعل الجمهور يصرخ من الانتشاء، أو بالعباره المختصرة لشركة P. R عنه إنه "الصوت الذى أثار الملايين"، وقد حظى سيناترا بشهرة واسعة فى النصف الأول من حياته.

أسلوب جديد:

* وأثناء سنوات الحرب العالميه الثانيه، والتى أعفى منها بسبب ثقب فى طبلة الأذن، جاءت له نانسى الزوجه بوجهها المشرق، بأكبر طفلة له، والتى استوحى منها سيناترا نعمات تعتبر من أخصب فترات حياته، فلحن من وحيها أربع أغنيات هى: عندما يذهب الحب، الأغنية هى أنت، الحمقى يهرعون، وأبدأ الموسيقى، ثم أضاف إليهم أغنيته "لقد حدث شرخ معك" من وحي علاقته بزوجه نانسى.

وفى ديسمبر من عام ١٩٤٦ اتخذ سيناترا قراره الصعب والخطير عندما منع المراهقين من حضور حفلاته للإذاعة، وكان ذلك تمهيداً لقراره بأن يجعل الأنغام بطيئة لتتناسب الفئات العمرية الأخرى، بل وبدأ يغنى الكلمات

الرزينة. ومشاركة منه للحالة العامة خلال الحرب العالمية الثانية، فقد غنى موشحات دينية وأغان شعبية للأمريكان، ووعظ بالتسامح والوحدة القومية، كما فى فيلمه القصير - عام ١٩٤٥ - "البيت الذى أحبه" والذى فاز بجائزة الأكاديمية الخاصة فى العام التالى، وبهذا العمل استطاع أ، يكسب حب العامة، كما اكتسب احترام الفنانين، فقال عنه مغنى البوب ديونى ورك أنه أعظم مغن عاش حتى الآن وأضاف أنه - سيناترا - يستطيع أن يغنى دليل التليفون ويجعلك تؤمن به.

زوجات وعصابات:

ولكن السيدة التى كادت أن تحطم سيناترا حقاً، هى الممثلة النجمة "أفا جاردنر"، التى شعر بضعف شديد أمامها، وكانت علاقته بها - قبل الزواج - سبباً مباشراً فى طلاقه من زوجته نانسى، إلى أن تزوج سيناترا من جاردنر عام ١٩٥١، لينفصل عنها بعد عامين فقط من الزواج، وإن كان الطلاق الرسمى وقع بينهما متأخراً فى عام ١٩٥٧، وكان فشله فى هذا الزواج سبباً فى التدمير الكامل له، فقد ظل سيناترا يتكلم عنها فى أحاديثه الخاصة بألم وبجرح عميقين، لدرجة أنهم وصفوه بأنه يشعر بالراحة إذا تغير الموضوع

بعيداً عنها، وهذا الرأي كتبته زوجة سيناترا الثالثة "ميفارو" في سيرتها الذاتية بعنوان "من الذى سقط بعيداً".

وفى سياق الحديث عن رحلة سيناترا مع الفن والحياة، يجدر الحديث عن تسجيل بداية اللغظ الذى ثار حول علاقاته المشبوهة مع جهات عديدة، ليس آخرها السلطة ولا أخطرهما المافيا (!).

ففى فبراير ١٩٤٧، قامت عليه عاصفة عندما انطلق حديثاً يتعدى الشائعات، جعله يرحل مع عضو فى عصابة سالز لوكينو، وظلت التقارير الصحفية والاستجابات الحكومية تبحث عنه وتلاحقانه، وتضعه مع أعضاء العصابات سيئة السمعة من بوجس إلى جيمى وفرانتينو، وكان شيئاً سيئاً أن تنشر تقارير صحفية للعامة تدين سيناترا كمتقلب ومتذمر، وأنه يقوم بمهاجمة الآخرين لفظياً وبدنياً، مشيرة إلى رحلته من مساعد نادل إلى ساق إلى احتلال لمكانه كأحد نجوم السينما.

وتصنفه لجنة الأنشطة الأمريكية كمتعاطف مع الشيوعية، والتى أجبرته بالحضور إلى واشنطن لإدانته، وتم

على إثر ذلك إقصاءه من الراديو ومقاطعة استوديوهات MGM له.

قابل سيناترا الأمر بصدمة شديدة حطمت معنوياته، فأغرق نفسه في الخمر، وعانى من نزيف بالزور الذى أثر على صوته تأثيراً سلبياً بليغاً.

إلا أن سيناترا قد قابل الهجوم، بالالتفاف من حوله، وبمحاولة وضع درع له يقيه غدر الأزمات، فقد اتجه ناحية السياسة، وساند المرشحين الديموقراطيين، وحارب ضد التمييز العنصرى، فى الوقت نفسه الذى كان ينسجم فيه مع مؤيدى التمييز العنصرى، وإن كان فى المساء يحرص على صعود المسرح إلى جوار المغنيين السود.

إلى جانب هذا كان سيناترا متعدد العلاقات الغرامية، وشملت مغامراته عدد من الشهيرات منهن لانا تيرنر، مارلين ديتريش، ناتالى وود، لورنين باكال، كيتى كيلر، اليزابيث تايلور وفيكتوريا برنسيال.

واستمرت جهود سيناترا السياسية، فقد ساعد روبرت كنيدى وكتب من أجله "الآمال العليا" كأغنية تحت المواطنين الأمريكان على انتخابه للرئاسة.

ولكن لم ينس سيناترا طموحه الفنى، فقد قدم عام ١٩٦١ مجموعة ألبومات باسمه مثل "سيناترا فى ضوء القمر" و"سيناترا والأوتار".

والمثير أن سيناترا كان يلقب بين أصدقائه أمثال رات باك، دين مارتن وسيرلى ماكلين، بلقب الرئيس.

وفى عام ١٩٦٩ وبعد تسعة أشهر من وفاة أبوه، استدعى للمحاكمة من قبل لجنة الجريمة المنظمة، ومثل أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة التى أدانته.

ومع مطلع السبعينات انضم إلى الحزب التحريرى، تاركاً حزب اليمين الذى كان من مؤيديه منذ بداية الستينات، ثم ظهر عام ١٩٧٢ كمساند للرئيس ريتشارد نيكسون فى إعادة حملته الانتخابية، وفى عام ١٩٧٣ أعاد ألبومه "كل العيون الزرقاء" هى سوداء التى فازت بالاسطوانة البلاتينية بعد أن وزعت مليون نسخة، وأذاع التلفزيون العديد من الحفلات الموسيقية التى جذبت إليه مئات الملايين من جميع أنحاء العالم.

وكان له موعد جديد مع الزواج فى عام ١٩٧٦، عندما تزوج مرة أخرى من بربارا فاركس" الزوجة السابقة

لماركس براذر زييو، وهو الزواج الذى استمر أكثر من عقدين من الزمان حتى وفاة سيناترا عام ١٩٩٨.

ولم يتوقف سيناترا حتى وهو فى هذا العمر عن صداقته مع السلطة، فها هو يصبح صديقاً مقرباً من الرئيس الأمريكى رونالد ريجان ويظهر ليراقص زوجته نانسى ريجان فى حفلات خاصة.

وفى عام ١٩٨٣ تشاجر سيناترا مع صديقه "دين مارتين" فى مدينة اطلانتك، أثرت نفسياً فى هذا المغنى الذى لم يكن يوماً بهذا الضعف، فانغمس فى ألعاب القمار وابتعد عن المسرح لمدة ١٤ شهراً.

ثم نجده على جانب من الصورة، صورة الضعف والهوان والاستكانة فى خناقته مع دين، نجده على الجانب الآخر فى عنفه وعصبيته التى عرف بهما عندما نشرت الواشنطن بوست مقالاً أغضبه، فقد هدد الجميع فى الجريدة بقوله: كل شخص منكم يعتبر نفسه ميتاً!

ويبدو أن ذلك كان بداية الأزمة الحقيقية بينه وبين الصحافية، التى انقضت عليه، بمقالات فيها هجوم عنيف، واتهامات قاتلة، وصدرت الكتب ومنها السيرة الذاتية له التى

نشرتها الصحفية كيتى كيلر وصفت فيها سيناترا بأنه شخص غير مخول للعمل ولكنه قد يكون بائعاً ممتازاً، وفى نفس العام قام مخرج الرسوم المتحركة دونسبرى، وجارى زودو برسم سلاسل من الصور لسيناترا جنباً إلى جانب مع أعضاء العصابات!

وهنا انفجر بركان من الغضب حول هذا الفنان، بل للأدق حول فرائك سيناترا، فالحديث فى هذه الفترة لم يكن عن سيناترا (الفنان)، بل عن سيناترا الإنسان.. الإنسان المشاغب، المغامر، المقامر والذى بدأ الربط بينه وبين أفراد العصابات والخارجين عن القانون..

تحول المجد الذى بناه بسواعد فتية، موهوبة، إلى (عار) يجب أن يتوارى سيناترا مع كل إشارة من إيهام يوجه إليه.

وما أصعب أن يتحول الحديث من إعجاب وانبهار، إلى غمز ولمز وخزى وعار!

فما بالك وأن الهمس أصبح حديثاً بالصوت العالى وفى قنوات إعلامية تتلقف القصة الخيرية المثيرة، والحدوة

الفاضة، والحقيقة العارية من أية محاولة للتجميل أو
التلطيف.. ومن يملك أن يتقدم لتجميل حقيقة قبيحة؟!
ولكن جمال الفن فى رؤية فى كونه غير قابل للتأثير
بالشوائب الشخصية، فكم من فنان سكير، عرييد، أضحكنا
ليس على سكره، ولكن بموهبته. وللك بقى "سيناترا" وغيره،
ما بقيت أعمالهم وإبداعاتهم.

وأنا أكتب هذه السطور، وكلى تعاطفاً مع هذا النجم
الذى شب على الفن وشاب على الفضيحة!
سأستمع إلى سيناترا، وسأكتب ما بقى من سيرته
الذاتية.. بعضهم قال: إنه كان على علاقة صداقة بزعماء
العصابات.

وبعضهم قال: إنه كان يقدم زعماء المافيا إلى
شهيرات السينما والمجتمع!

كان هذا فى الوقت الذى كان فيه سيناترا على علاقة
بأعلى قمة فى السلطة الأمريكية، الرئيس الأمريكى كنيدي،
الذى ساعده سيناترا أثناء حملته الانتخابية وطاف معه
الخمسين ولاية يغنى له ويمجده، وعندما فاز أقام له سيناترا
حفلاً ضخماً فى عشية يوم تولية السلطة بيعت تذاكره بأسعار

تتراوح ما بين ١٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ دولار للتذكرة الواحدة،
وساهم بالعاقد الضخم لهذا الحفل في تغطية نفقات جزء من
الحملة الانتخابية التي بلغت تكاليفها أكثر من مليون دولار
بقيمة دولار عام ١٩٦٠.

وطبعاً كان منطقياً أن يستغل زعماء ألمانيا اسم
سيناترا وقربه من السلطة في تمرير بعض الصفقات،
واستمر هذا الوضع حتى تسلم روبرت كيندى شقيق الرئيس
مهام وزارة العدل وأعلن الحرب على العصابات المنظمة،
فجاء اسم سيناترا كواحد من الذين يساعدون هذه العصابات
حتى ولو لم يكن متورطاً في جرائم مباشرة، وجاءت الواقعة
التي استند عليها روبرت كيندى في تقريره إلى الرئيس
الأمريكي، عندما جاءه تقرير من الشرطة يقول: إن أحد
زعماء المافيا يطالب مقابلته بغرض إنهاء المراقبة عليه، وأنه
ذكر اسم فرانكى (فرانك سيناترا) كوسيط لهذا الطلب!

وكانت تلك الواقعة كفيلة - خاصة في حالة نظام
يخشى على سمعته يراقبه الشعب - بإنهاء شهر العسل بين
سيناترا وكيندى، لكنه لم ينس لروبرت كيندى - الشقيق -

أنه كان السبب وراء هذا الفرق، فعمل ضده فيما بعد فى انتخابات عام ١٩٦٨.

وهنا تأتى عبارة قصيرة ولكن لها دلالتها الواضحة فى تحديد معالم - أو جزء مهم من هذه المعالم - شخصية سيناترا عندما تقول الأم: "إن ابنى مثلى لا ينسى ولا يغفر". وفى تقرير (وثيقة) صادر بتاريخ ٣ أغسطس عام ١٩٦٢، جاء إن سيناترا كان على علاقة بعشر زعماء للمافيا فى الولايات المتحدة فى الفترة ما بين الخمسينات وأوائل الستينات، وفى عام ١٩٦١ قدم سيناترا مطلقاً حسناء عمرها ٢٨ سنة إلى زعيم المافيا سام جيانكانا، كما قدم له بعد ذلك المغنية فيليس ماك جوير، وكان سيناترا قد ورط جون كيندى فى علاقة خطيرة مع امرأة تدعى جوديث كامبل كانت على صلة مع سام جيانكانا.

وانكشفت علاقته بالمافيا بعد ذلك، تحديداً فى عام ١٩٦٣، عندما اختطف ابنه "قرانك" من أحد الفنادق، ولم يفرج عنه إلا بعد ثلاثة أيام وبعد أن دفع سيناترا فدية قدرها ٢٤٠ ألف دولار، واتضح أنها كانت وسيلة للانتقام من سيناترا بواسطة المافيا بعد أن ساءت العلاقة بينهما.

وهو الأمر الذى دعى روبرت كيندى إلى أحكام الرقابة عليه، ثم تحذير كيندى الرئيس من الصداقة معه. ولطرافة الخبر وإثارته - خبر اختطاف ابن سيناترا ثم القبض عليه، تعالوا نتذكر كيف تناولته وكالات الأنباء وقتها:

الخبر الأول: اختطاف ابن المغنى فرانك سيناترا /
بوليس لايبتين بأمريكا يطارد المجرمين فى الغابات...
وتفاصيل الخبر الذى جاء فى الصحف الصباحية يوم ١٠ ديسمبر عام ١٩٦٣ تقول: اختطف رجلان مسلحان ابن فرانك سيناترا المغنى المعروف، كان سيناترا الصغير وعمره ١٩ عاماً مع صديق له فى فندق على حدود ولايتى كاليفورنيا ونيفادا، قام رجال البوليس فى الولايتين بمطاردة المجرمين فى الغابات.. قال صديق سيناترا الصغير ويدعى "جون فوس" أنهما كانا فى حجرتهما حوالى التاسعة مساء وطرق الباب شخص قال: إن معه طرداً لسيناترا. وفتحنا الباب فدخل رجل يرتدى جاكيت الانزلاق على الجليد وصوب نحوهما مسدسه وبعد أن أخذ كل ما كان معهما من نقود أمر سيناترا بالخروج معه وكان هناك رجل آخر ينتظر فى سيارة

وسرعان ما تحركت السيارة فاستطاع أن يلتقط ثلاثة أحرف من أرقامها وأسرع رجال البوليس بإغلاق جميع الطرق المحيطة بالمنطقة التي تسمى "ستيت لاين" وهي في لايتي كاليفورنيا في شهر نوفمبر الماضي، أحدهما يدعى جوزيف سورس والآخر توماس كيتنج وهما من الشخصيات الخطرة إلى أقصى حد" والكلمات السبعة الأخيرة هي ما تعنيها، ولعله يميل بنا إلى ترجيح انتماء الخاطفين إلى عصابات المافيا، ولكم أن تلاحظوا الأسلوب الذي تمت به عملية الاختطاف.

وبعد نشر هذا الخبر المثير بخمسة أيام جاء نشر الخبر التالي والأكثر إثارة: (٦٣/١٢/١٥) "القبض على العصابة التي خطفت ابن سيناترا / البوليس الأمريكي يسترد الفدية من أفراد العصابة: نجح مكتب المباحث الجنائية الفدرالي في العثور على خاطفي ابن المغنى المعروف فرانك سيناترا وفي استعادة معظم المبلغ الذي استولى الخاطفون عليه وقدره حوالي ربع مليون دولار. قالت وكالات الأنباء أن هذا الحادث أكثر حوادث الاختطاف إثارة منذ الحرب العالمية الثانية. وظهر أن الخاطفون ثلاثة أحدهم كان زميلاً

فى المدرسة الثانوية لنانسى اخت سيناترا الصغير
المخطوف، والثانى يعمل نقاشاً، والثالث ملاكم محترف".

المقابـل:

ولكن هل كان يستفيد فرانك سيناترا من علاقته
بعصابات المافيا مثلما استفاد - تأكيداً - من علاقته بالسلطة
ممثلة فى الرئيس كيندى؟ لعل الإجابة تكمن فى هذه الواقعة..
سبق وأن ذكرنا أن سيناترا كان على علاقة قوية
بأحد أبرز الوجوه فى عالم المافيا وهو الرجل ذو الوجه
القييح "سام جيا نكاتا" الذى يعد خليفة آل كابوى فى شيكاغو،
وأحد أبرز الرعوس فى "لاكوستا نوسترا" - نقابة الجريمة
العالمية - وهذا الرجل - أيام العسل بينه وبين سيناترا -
كان يفرض حمايته على فرانكى، حتى أن هناك واقعة شهيرة
حدثت كان بطلها أحد نجوم الكوميديا فى ملاحى لاس فيجاس
ويدعى "جاكى مانسون" وكان هذا الفنان يقدم فاصلاً من تقليد
الفنانين فى صالات الملاهى، ومن بين النجوم المقلدين كان
فرانك سيناترا الذى كان يستخدمه كمادة للسخرية واضحاك
الزبائن بقفشات ساخرة لإذاعة، إلا أن هذه القفشات لم تعجب
سيناترا وأثارت استياءه، ونقل هذا الإحساس لصديقه رجل

المافيا، وفى اليوم التالى لإعلان غضبه كان جاكى يجلس فى سيارته على قارعة الطريق مع إحدى صديقاته ليتقدم منه رجل ضخ الجثة، قوى البنيان، ويمد يده عبر نافذة السيارة، بلكمة قوية من يده التى كانت مكسوة بغطاء من الحديد، ليكسر أنف الفنان الكوميدي وفكه قائلاً فى لهجة حاسمة تملو من أى رحمة: هذا مجرد تحذير فقط، والويل لمن يسخر من صديقنا سيناترا!! والمفاجأة أن جاكى - النجم الكوميدي - المضروب - رفض أثناء التحقيق أن ينطق حرفاً واحداً مما سمع أو أن يتهم سيناترا لا يجرؤ أحد على معاداته!

إذا فإن سيناترا كان يريد (الحماية) من عصابات المافيا، أو أنه حصل عليها - ولو بالمصادفة - ولكنه قبلها ورضى بها!

دليل:

ومن الأدلة على علاقته بالمافيا ذلك الكتاب الذى صدر بقلم ابنة "سام جيانكانا" نفسه، وتدعى أنطوانيت وصدر الكتاب باسم "أميرة المافيا" وفى الفصل الذى يتحدث عن علاقة أبيها بفرانك سيناترا، تقول: إنه كانت بينهما علاقات مادية تتعلق بإدارة أحد الكازينوهات فى ولاية نيفادا المسموح

فيها بلعب القمار وذكرت نقلاً عن تقارير وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) إن سيناترا كان يستثمر أمواله سرّاً مع "جيانكانا" - والدها.. وهو اتهام - إن صح - فإنه يلقي بثمة التعامل المباشر بين سيناترا وزعماء المافيا، وهو نوع آخر من الاستفادة.. المال يا عزيزي!!

وذكاء سيناترا ولباقته هي التي جعلته يرد على سؤال: أنك تعامل رجال المافيا معاملة خاصة ولك صور معهم فقال: "مصافحة شخص ومعرفة شيان مختلفان جداً.. إننى لم أكن أعرف حتى أسماءهم، فكيف لى أن أعرف عملهم أو تاريخ حياتهم؟". وعندما واجهه بتهريب مليونى دولار بواسطة رجل المافيا سيئ السمعة "تكى لوشيانو" رد عليهم: إذا استطعتم العثور على مبلغ المليونى دولار، فإننى أهبها لكم!..

إجابات إن لم تكن صادقة فهي مدربة!
ومن بين الأسئلة التى تثار فى حياة سيناترا الشخصية هي: هل كان يعترم حقاً الزواج من مارلين مونرو؟

طبقاً لوجهة نظر كتاب جديد هو "سيناترا الإنسان
فيما وراء الأسطورة" أن سيناترا اعتزم طلب يد مونرو قبل
وفاتها بأسابيع قليلة قائلاً بثقة شديدة: إنه "لا أحد يستطيع أن
يقرب منها إذا ما كانت زوجة سيناترا" ولاحظوا هذه الثقة
المفرطة التي لا ندري هل اكتسبها من قربه من السلطات
السياسية أم من سلطة العصابات؟! وقد ذكر أن سيناترا حاول
أن يشجعها على أن تبدأ حياتها من جديد مرة أخرى، ولكنها
ردت بقولها الغامض "ولم المتاعب.. إنني لن أكون هنا لفترة
طويلة"..

وبعد ذلك بقليل ماتت مونرو.. بيدها أو بيد غيرها!!

* * *

مارلين مونرو..

واللعب مع الرئيس

"الفنان يتكوينه وبطبيعة عمله طموح، وهو يسعى دائماً إلى (القمة)، والقمة ليس لها آخر، كما أنها لا تتسع لشخصين فكلما صعد إلى (فوق) أدرك أن هناك درجة أعلى لم يصل إليها، ولذلك فهو في حالة سعى دائم، وسفر، ويبحث عن المجهول.. يظل كذلك حتى يتوقف بفعل الزمن أو.. يسقط بفعل فاعل"

المفكرة الحمراء:

أن أكبر الألغاز فى حياة مارلين مونرو، والذي يثير عشرات من علامات الاستفهام حول تورطها - أو عدم تورطها - فى نشاط مخابراتى، وفى الوقت نفسه يضع علامات استفهام أخرى حول تورط أجهزة أو سلطات فى حادث مصرعها، ذلك الشئ هو ما قيل عن مفكرتها الحمراء التى تحتفظ بها حتى لحظة الوفاة المدبرة - سواء بمعرفتها أ، بمعرفة آخرين - وكان أحد أصدقاء مونرو وهو الفنان (روبرت سلاترز) شاهداً على حقيقة هذه المفكرة الحمراء التى اطلع عليها بنفسه عندما اتصلت به مونرو فى منتصف يوليو ١٩٦٢، وكشف سلاترز عن بعض محتويات هذه المفكرة فقال: المفكرة كانت تضم معلومات تتعلق بنشاط الحكومة الأمريكية وخطط الأمن القومى الأمريكى مثل إقدام إكارة جون كيندى على اغتيال الزعيم الكوبى فيدل كاسترو بواسطة عصابات المافيا وبعض المنشقين الكوبيين الموجودين على أرض الولايات المتحدة، كما ضمت المفكرة

الحمراء الخاصة بمارلين مونرو معلومات عن التجارب النووية، وكذلك معلومات عن تورط المطرب المعروف فرانك سيناترا بعصابات المافيا ومعلومات عن حركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين التي كانت تهدف إلى القضاء على العنصرية في المجتمع الأمريكي، ومعلومات أخرى عن مساعدات أمريكية للتمرد الكوبيين.

وعندما أبدى سلاترز دهشته من احتفاظ مونرو بمثل هذه المعلومات فائقة السرية، وتساءل في قلق عن مصدر هذه المعلومات، قالت مونرو: إنها كتبت هذه المعلومات من أجل أن تبحث عن مزيد من التفاصيل حولها لتقرأها! ولكن هذا الذي قالته مونرو لم يكن مقتعاً لصديقها الذي استدعته في هذا اليوم متوسلة، وقابلته متكررة، كما لو كان هناك من يطاردها.. وبالطبع فإنه لا يبدو مقتعاً لنا أيضاً!

التليفون الغامض:

لم يكن هذا هو كل ما كانت تمتلكه مارلين مونرو من معلومات سرية ودقيقة، بل إن بعض أصدقائها بالإضافة

إلى بعض المعلومات التى تسربت من التحقيقات فى قضيتها
تؤكد أن لديها من المعلومات ما يتجاوز الحد المسموح به!
وأكثر من هذا، فإن أحد أصدقائها المقربين كشف
عن أن مونرو كانت قد اتصلت به تليفونياً قبل انتحارها أو
مصرعها، وكشفت له عن معلومات فى لحظات ضيق
وغضب وفضفضة، ووصف هذا الصديق أسرار مونرو التى
أداعتها له عبر الهاتف بأنه لو كشف عنها لاهتز العالم كله
لهذه الأسرار!

وبالطبع فإن هذا الاتصال التليفونى قد انقطع فجأة،
وضاع صوت مونرو بدون سبب واضح مما يعطى إيحاء
بأن تليفونها كان مراقباً (طبعاً) وهو ما كان يدعوها للاتصال
بأصدقائها عندما تود مقابلة أحدهم خارج منزلها، بل إنها
كانت تلتقى بهم متكررة كما سبق الإشارة!

ولم يكن هذا هو كل الألغاز المتعلقة بجهاز التليفون
فى حياة مورنو، بل من أكبر الألغاز فى قصتها هو أن
مارلين قد تم اكتشاف مقتلها بينما هى تمسك بسماعة
التليفون، مما دفع بالكثيرين ومنهم صحفيون - لأن يحاولوا
الحصول على شريط التسجيل الخاص بمكالماتها الأخيرة عن

طريق شركة الاتصال، وكانت المفاجأة أن هناك من سبقهم إلى هذا بناء على طلب من روبرت كيندى وقيل فى ذلك أن الذين قاموا بالمصادرة هم قسم العمليات الفذرة فى وكالة المخابرات المركزية فرع لوس أنجلوس.

والمثير فى الأمر أن الذى احتفظ بأشرطة تسجيلات المكالمات الأخيرة لمونرو هو وليم باركر الذى كان بيتز بها روبرت كيندى من أجل تنفيذ وعد الأخير للأول بأن يكون رئيساً لمكتب التحقيقات الفيدرالى "FBI".

فماذا كانت تحتوى هذه الأشرطة، ومع من كانت تتحدث مونرو لآخر مرة فى حياتها؟ وما هو وجه الخطورة من جراء هذه المكالمات؟

الدلائل تشير إلى أن مونرو أصبحت خطراً على السلطة بما كانت تعرفه وتخزنه سواء فى مفكرتها الحمراء أو فى ذاكرتها، وهى ذاكرة شابة لفتاة لعبوب - لا أمان لها - فى السادسة والثلاثين من عمرها، أى فى سن المغامرة والمقامرة واللعب بالنار، خاصة لمن يمتلك طموح نجمة وصلت إلى رأس القمة المدبية، بالإغراء والعري واقتحام أسوار الممنوع، ولكنها لا تكتفى بذلك، بل تبحث فى سماء

الشهرة عن مزيد من النجومية، وتلهو فى بلاط السلطة غير عابئة بالمخاطر والتي تحيط بها من كل جانب، رغم أن أطراف ثوبها قد احترقت بالفعل ولكنها رأت فى المخاطر تسلية، وظنت أن فى النيران دفاء.

الغزوة:

ولكن إذا كانت لدى مونرو كل هذه المعلومات الحساسة والمخيفة عن آل كيندى فمعنى ذلك أن العلاقة بين الطرفين كانت علاقة حميمة ودافئة، فما الذى عكر صفو هذه العلاقة؟

بداية فإن العلاقة بين الفنان والسلطة هى علاقة مصالح ولا يمكن أن تتطور إلى ما هو أكثر من ذلك، الفنان يريد السلطة من أجل أن ترفعه وتسانده وتعلو من شأنه وتضى عليه بعضاً من نفوذها، والسلطة تستخدم الفنان على اختلاف درجات الاستخدام، إما بفنه أو بدائرة علاقته. ولكن..

هناك حدود يجب أن يقدرها الفنان بذكاء، فيعرف الخط الأحمر الذى عليه ألا يتجاوزه، فإذا تعدى هذا الخط ففيه نهايته.. ومع اختلاف النهايات تبعاً لمدى تجاوز الفنان،

ومدى خشونة السلطة! وتطبيقاً لذلك على قصة مونرو مع السلطة، يتضح أن أزمته مع الرئيس الأمريكى الأسبق جون كيندى قد تفاقمت عندما غنت فى عيد ميلاده - فى شهر مايو السابق على مصرعها - "عيد ميلاد سعيد يا سيدى الرئيس!" ومع انتشار هذه الأغنية تحولت الهمسات إلى أصوات عالية تتكلم عن علاقة مونرو الدافئة بالرئيس الأمريكى، فخرجت العلاقة من حيز الغرف الضيقة إلى الشوارع والبيوت والطرق حتى وصلت إلى كل الأذان.

وتهددت المصالح السياسية للرئيس الأمريكى، وأصبحت المكانة الاجتماعية لآل كيندى فى خطر، والمستقبل السياسى دائماً أهم وأبقى من النزوات فى حياة السياسى المحنك، فصدرت على الفور الأوامر العليا يا جبار مونرو - مهما كانت إغراءات اللقاء بها - على عدم الاتصال بالرئيس سواء كانت اللقاءات حية أو صوتية وتم إبلاغها بالقرار بطريقة فيها قسوة وفضاظة.

والغريب والمثير أن شقيق كيندى - بوبى - حاول أن يستغل بعد مونرو عن الرئيس، بأن يقيم معها علاقة من

نوع خاص هو الآخر، إلا أن مونرو قابلت ذلك بازدياد ورفض شديدين.

وتم تسريب خبر مفاده أن مونرو كانت تسعى لتطليق جون كيندى - الرئيس - من زوجته جاكلين كيندى - الشهيرة بـ جاكى - لتتزوج هى منه، ولعله كان فى مخيلة مونرو إن صحت هذه الرواية قصة السندريلا التى جاءت من القاع لتتزوج من الأمير الذى تحدى من أجلها التقاليد الصارمة.

وكان لصدورها هذا الأمر الرئاسى بمنع مونرو من الاتصال بالرئيس الأمريكى أثراً سلبياً، أصابها بشرخ نفسى عميق، استلزم مزيداً من العقاقير المهدئة طلباً لبضعة ساعات من النوم الهادئ الذى حال اضطرابها الشديد بينها وبينه.

ماكياج كامل:

كانت مونرو تدرك أنها رمز للأثوثة الطاغية، وأن ها هو الأساس سر شهرتها، وسبب إقبال المشاهدين والمعجبين عليها رجالاً ونساء، لقد وجدوا فيها التى تهتم بإبراز أنوثتها طوال الـ ٢٤ ساعة يومياً، وأنها المرأة التى تعرف كيف تفتن الرجال دوماً، ولذلك كانت أغرب وصية

لمونرو أن طلبت من الماكبير - أخصائي التجميل - الخاص بها أن يعمل جاهداً على إدخالها القبر بكامل ماكياجها لتبدو ملكة متوجة حتى وهى فى طريقها إلى المقابر .
حتى فى الموت!

لقد طلبت من الماكبير ذلك قبل وفاتها بعشر سنوات، أى فى عام ١٩٥٢، وكانت قد أجرت عملية استئصال للزائدة الدودية، ولم يعجبها الشحوب الذى كانت عليه بسبب إجراء العملية البسيطة، فطلبت من ماكبيرها القيام بواجبه، ثم أوصته بتلك الوصية عند وفاتها، وظلت تذكره بها كلما جاءت الفرصة لذلك!

والغريب أن القتيلة النجمة التى دخلت إلى مقبرتها ملكة فى كامل ماكياجها، لم يتقدم أحد من أسرتها لاستلام جثمانها!

ودفنت مونرو إلى جوار إثنين من أمهاتها بالتبنى هما جريس ميكى جودارد والأخرى أنا لوار التى كانت مونرو تتادبها العمة لوار .

قنبلة:

وفى ملف مارلين مونرو "الأمنى" مذكرة غاية فى السرية صادرة عن مكتب المباحث الفيدرالية فى مدينة مكسيكو سيتى، كان عنوان هذه المذكرة "مارلين مونرو.. قضية أمنية" والمذكرة من إعداد القسم (C) الخاص بمكافحة الشيوعية، والمذكرة مؤرخة بتاريخ ١٩٦٢/٧/١٣ أى قبل ثلاثة أسابيع من نهاية مونرو - بالانتحار أو بالتصفية - وقد تضمنت المذكرة تناول المشاكل السياسية الدولية، ومن بينها الدمار والفرع الذى تسببه "القنابل النووية الهيدروجينية" وكان هذا هو أول تسريب لهذا الخبر الذى انتقل إلى السوفيت، فقد كان هذا النوع من القنابل غير معروف حتى هذا الوقت. أيضاً أشارت المذكرة إلى العلاقة التى كانت تجمع بين مونرو مع العميل السوفيتى فاندبيلت فيلد، وطبقاً لما جاء فى كتاب "الجريمة الكاملة.. مارلين مونرو.. الموت بأمر الرئيس" من أن "هناك وثيقة صادرة عن قسم مكافحة الجاسوسية بوكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) تحمل توقيع "جيمس جيسوس انجلتون" وتشير هذه الوثيقة إلى زرع معدات للتصت الالكترونى داخل منزل مارلين مونرو فى الوقت نفسه يكشف ملف فاندربيلت فيلد فى الفترة من يونيو

إلى يوليو ١٩٦٢ أى قبل إجراء تفجير القنبلة الهيدروجينية الأمريكية، ويعزز هذا الأمر المشكوك فى حقيقة الدور الذى لعبته مونرو أثناء علاقتها الغرامية العاصفة مع الرئيس وشقيقه" وكذلك أوضحت التقارير أن عدداً كبيراً ممن هم على علاقة وثيقة بمارلين يشتبّه فى كونهم جواسيس محترفين عجزت المخابرات الأمريكية عن الإيقاع بهم وهذه المعلومات تم الكشف عنها بالفعل بعد سقوط الاتحاد السوفيتى السابق.

وكانت هذه المعلومات أشد انفجاراً من القنبلة الهيدروجينية فى وجه الرئيس الأمريكى جون كيندى وشقيقه بوبى.

هذا كله لا يفسر ولا يبرر ما حدث لمونرو يوم ٤ أغسطس ١٩٦٢ وبنته وكالة الأسوشيتدبرس فى هذا النبأ العاجل:

"مارلين مونرو. الشقراء الجميلة. النموذج المشرق للمرح ولحياة هوليوود ماتت بصورة مأساوية بعد أن عثر عليها عارية فى السرير وهى تقبض بإحدى يديها على سماعة الهاتف وعلى مقربة منها زجاجة حبوب منومة

فارغة من محتوياتها. وأضاف النبا: "مارلين مونرو التى كانت فى السادسة والثلاثين عانت لفترة طويلة من اضطرابات نفسية وثمة احتمال لانتحارها" إن الخبر يحمل تلميحات انتشرت لفترة طويلة حول انتحار مونرو عن طريق تعاطيها لجرعة هائلة من عقار منوم، ولكن المعلومات التى تم الكشف عنها وشارك فى تحليلها الحسابات الآلية العملاقة قالت: إن نسبة الـ ٤,٥ ملليجرام من "الباربيتوريت" التى وجدت فى الدورة الدموية لمونرو، كانت تتطلب أن تبتلع مونرو ما بين ٥٢ إلى ٨٩ حبة العقار عن طريق الفم، فى حين لم يعثر على أثر لهذه المادة السامة فى المعدة أو فى الأمعاء الدقيقة. وتوصل التحليل إلى ضرورة أن وصول هذه المادة كان عن طريق الحقن وأن ذلك لابد أنه تم بطريقة بارعة حتى لا تظهر آثار الوخز فى شرايين مونرو..

هذه المعلومات وتحليلها العلمى الدقيق لو صحت، فإنها تكون الدليل القاطع على أن وفاة مونرو كانت عمداً ومع سبق الإصرار والترصد، والفاعل هنا محترف لمثل هذه النوعية من العمليات القذرة..

فمن قتل مارلين مونرو؟

قبل أن نتحيز في القديم إجابة علينا أن نسأل أولاً.
ماذا كانت تريد مارلين مونرو.. من الفن ومن
السلطة؟

بل وماذا يريد النجمات والنجوم الذين حذوا حذوها
وحاولوا اللعب مع الكبار؟

"ثم حمد الله"

* * *

صدر للمؤلف

- ١- محمد عبد الوهاب.. نساء وألحان.
- ٢- المُنغنى.. قصة صعود عمرو دياب. (دار الخيال)
- ٣- ألعاب مصرية. (صادر عن دار الهلال)
- ٤- الفنانون والمخابرات.

تحت الطبع:

- جورج سيدهم والثلاثي.. ٤٠ عاما من الضحك.
- موسوعة ألعاب الطفل المصري.